من بلاغة التعبير النبوي عن علامات الساعة

From the eloquence of the prophetic expression of the signs of the last Hour

إعداد الدكتورة

آمنة الظرف محمد الأعصر

Amna elzarff Mohamad Al،Aasar

مدرس البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الزقازيق ، جامعة الأزهر

جمهورية مصر العربية

من بلاغة التعبير النبوي عن علامات الساعة

آمنة الظرف محمد الأعصر
قسم البلاغة والنقد ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات الزقازيق ، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية
البريد الإلكتروني: amnaelelasaar@gmail.com

الملخص:

هذا بحث بعنوان من بلاغة التعبير النبوي عن علامات الساعة ، يهدف إلى تلمس الطرائق البيانية والأنماط التعبيرية التي شاعت في حديثه صلى الله عليه وسلم عن علامات الساعة ، واتخذ من المنهج الوصفي التحليلي منهجا للوصول إلى أهدافه وقد جاء في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة

شملت المقدمة أسباب اختيار الموضوع وأهدافه ومنهجه وطريقة تقسيمه وشمل التمهيد تعريفًا بعلامات الساعة وجاء المبحث الأول بعنوان من بلاغة التعبير النبوي عن علامات الساعة في الأحاديث المبنية على الإنشاء وجاء المبحث الثاني بعنوان من بلاغة التعبير النبوي عن علامات الساعة في الأحاديث المبنية على الخبر المثبت ، وجاء المبحث الثالث بعنوان من بلاغة التعبير النبوي عن علامات الساعة في الأحاديث المبنية على الخبر المنفي ثم جاءت الخاتمة متضمنة لأهم النتائج، ثم ثبت بأهم المصادر والمراجع

اتسمت الألفاظ في الحديث عن علامات الساعة بالوضوح والدقة والتناسق فلا نجد لفظًا نابيًا ولا لفظًا وحشيًا غريبًا، ومن دقته اصطفاؤه للفظ "تقوم" دون تقع أو تحدث ، واصطفاؤه (حتى) دون غيرها ليثري المعنى ، واصطفاؤه لـ (إذا) أداة للشرط دون غيرها ، لدلالتها على القطع على النحو الذي مر بيانه في موضعه من البحث.

الكلمات المفتاحية: يوم القيامة، علامات الساعة، النبوي، بلاغة، أسرار التعبير.

From the eloquence of the prophetic expression of the signs of the last Hour

Amna elzarff Mohamad Al،Aasar
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Zagazig Girls, Al،Azhar University, Egypt
Email: amnaelelasaar@gmail.com

Abstract :
The title of the research is from the eloquence of the prophetic expression about the signs of the Day of Resurrection،
Its aim is to reach the most important methods of statement and forms of expression that came abundantly in the words of the Messenger, may God bless him and grant him peace, about the signs of the Day of Resurrection.
The research methodology was descriptive and analytical
In the introduction came a definition of the meaning of the signs of the Day of Resurrection and the title of the first topic of the eloquence of the prophetic expression about the signs of the Day of Resurrection in hadiths based on the method of composition and the title of the second topic of the eloquence of the prophetic expression about the signs of the Day of Resurrection in the hadiths based on proven speech, and the title of the third topic of the eloquence of the prophetic expression On the signs of the Day of Resurrection in hadiths based on negated speech, then the conclusion came, and it contains the most important results, a list of the most important sources and references

keywords : Judgment Day, Signs of the last Hour, The Prophet, Eloquence, Secrets of expression

المقدمة

الحمد لله وحده القائل في محكم تنزيله " **فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ**" (محمد: ١٨)، والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين القائل: " بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ، وَالْوُسْطَى " (١) وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فإن كلام النبي هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة، ونُزِّه عن التكلف ... استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق.

وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه، وغشاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلة عدد الكلام ... لم يسمع الناس بكلام

قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقعا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه ﷺ(٢).

فبلاغته هي البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنَع وهي من الإحكام كأنها مصنوعة، ولم يُتكلف لها وهي على السهولة بعيدة ممنوعة (٣).

---

(١) صحيح مسلم مسلم بن الحجاج ، تحـ: محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب : قرب الساعة، رقم ٢٩٥١.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ، جـ ٢ ص١٣ وما بعدها بتصرف ،مكتبة دار الهلال (بيروت: ١٤٢٣ هـ) .

(٣) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ، ص ١٩٣، دار الكتاب العربي بيروت ، ط ٥، ٢٠٠٥ م.

ومعلوم أن السنة النبوية المطهرة هي الأصل الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، فقد قال صلى الله عليه وسلم : «**إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**»(١).

وقد كانت البلاغة النبوية ولا زالت محط عناية الدارسين على اختلاف مشاربهم ينهلون من نبعها الثرى ويتريضون في رياضها الغناء.

ولذا فقد تشوقت كثيرًا إلى أن يمن الله عليَّ بمدارسة كلام نبيه ، حتى هُديت إلى اختيار أحاديثه صلى الله عليه وسلم عن علامات الساعة، لتكون موضوعاً لبحثي وذلك لما لأمتنا في هذا الموضوع من حاجة ماسة حتى تؤوب إلى رشدها وتعمل ليوم حسابها ، وتفيق من غفلتها ،ومن هنا جاءت أهمية هذا الموضوع.

فجاء البحث تحت عنوان(من بلاغة التعبير النبوي عن علامات الساعة)

وكان من أهم أهدافه الوقوف على أسرار البيان النبوي وخصائصه وسماته التي برز فيها هذا الموضوع حتى يكون له الأثر في نفوس المتلقين.

وتتمثل مشكلة البحث في السؤال الآتي: ما أبرز الخصائص البلاغية والسمات البيانية التي برز فيها حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن علامات الساعة؟

وقد كان المنهج المتبع في هذا البحث منهجًا وصفيًا تحليليًا، يعنى برصد الفنون البلاغية الواردة في الحديث محل الدراسة ومن ثم التعرف على دورها في أداء المعاني المقصودة، وبيان لطائف صياغتها ودقائق تركيبها، وتآزرها مع غيرها.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة ثم ثبت بأهم المصادر والمراجع.

ذكرت في المقدمة أهمية الموضوع وسبب اختياره ومشكلة البحث ومنهجه وكيفية تقسيمه.

وشمل التمهيد التعريف بعلامات الساعة.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك برقم ٣١٩، والبيهقي في سننه برقم ٢٠٨٣٤، والدارقطني في سننه برقم٤٦٠٦.

وجاء المبحث الأول بعنوان : من بلاغة الأساليب الإنشائية في أحاديث علامات الساعة في البيان النبوي وأثرها على التركيب

ويشتمل على :

أولاً: أسلوب الاستفهام.
ثانيًا : أسلوب القسم.

وجاء المبحث الثاني بعنوان : من بلاغة الأساليب الخبرية في أحاديث علامات الساعة في البيان النبوي وأثرها على التركيب ويشتمل على:

أولاً: من بلاغة التعبير في البيان النبوي عن علامات الساعة في الأحاديث المبنية على الخبر المثبت.
ثانياً : من بلاغة التعبير في البيان النبوي عن علامات الساعة في الأحاديث المبنية على الخبر المنفي.

ثم تأتي الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة ويختم البحث بثبت لأهم مصادره ومراجعه.

والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير

الباحثة

التمهيد

التعريف بعلامات الساعة:

علامات الساعة وأشراطها شيء واحد أي : أوائلها جاء في مقاييس اللغة (شَرَطَ) الشِّينُ وَالرَّاءُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى عَلَمٍ وَعَلَامَةٍ، وَمَا قَارَبَ ذَلِكَ مِنْ عَلَمٍ. مِنْ ذَلِكَ، الشَّرَطُ: الْعَلَامَةُ. وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ: عَلَامَاتُهَا. وَمِنْ ذَلِكَ الْحَدِيثُ حِينَ ذَكَرَ أَشْرَاطَ السَّاعَةِ، وَهِيَ عَلَامَاتُهَا...

وَيُقَالُ: إِنَّ أَشْرَاطَ السَّاعَةِ أَوَائِلُهَا.)(١)

فالمعنى اللغوي لعلامات الساعة أو أشراطها يدور حول قرب مجيئها.

وأما أشراط الساعة شرعًا: هي العلامات الدالة على قيام الساعة وعلى قرب وقوعها ممن أدركها، ويدخل تحت هذا كل ما أخبر الله به وأخبر به رسوله - صلى الله عليه وسلم - من حوادث وأمور وفتن عامة وخاصة تكون بين يدي الساعة.(٢)

تعريف الساعة

جاء في لسان العرب (والساعةُ: الوقت الحاضر. وقوله تعالى:

ويوم تقوم الساعة يُقْسِمُ المجرمون؛ يعني بالساعة الوقت الذي تقوم فيه

القيامة فلذلك تُرِكَ أَن يُعَرَّف أَيُّ ساعةٍ هي، فإِن سميت القيامة

ساعة فعَلى هذا، والساعة: القيامة. وقال الزجاج: الساعة اسم للوقت الذي

تَصْعَقُ فيه العِبادُ والوقتِ الذي يبعثون فيه وتقوم فيه القيامة، سميت ساعة

لأَنها تَفْجَأُ الناس في ساعة... وَالسَّاعَةُ فِي الأَصل تُطْلَقُ بِمَعْنَيَيْنِ: أَحدهما أَن تَكُونَ عِبَارَةً عَنْ جُزْءٌ مِنْ أَربعة وَعِشْرِينَ جُزْءًا هِيَ مَجْمُوعُ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ،

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ، تحـ: عبد السلام هارون ، مادة شرط ، دار الفكر، ١٩٧٩م.

(٢) القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة، شمس الدين السخاوي ، تحـ محمد بن عبد الوهاب العقيل ، ص ٦٠، مكتبة أضواء السلف (الرياض السعودية : ٢٠٠٢ م) ط أولى .

وَالثَّانِي أَن تَكُونَ عِبَارَةً عَنْ جُزْءٍ قَلِيلٍ مِنَ النَّهَارِ أَو اللَّيْلِ. يُقَالُ: جَلَسْتُ عِنْدَكَ سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ أَي وَقْتًا قَلِيلًا مِنْهُ ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِاسْمِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَى السَّاعَةِ فِي كُلِّ الْقُرْآنِ الْوَقْتُ الَّذِي تَقُومُ فِيهِ الْقِيَامَةُ، يُرِيدُ أَنها سَاعَة خَفِيفَة يَحْدُثُ فِيهَا أَمر عَظِيمٌ فَلِقِلَّةِ الْوَقْتِ الَّذِي تَقُومُ فِيهِ سَمَّاهَا سَاعَةً. (١)

وعلى هذا فالمقصود بعلامات الساعة أو أشراطها: الأمور التي تقع فتدل بوقوعها على قرب يوم القيامة.

أقسام علامات الساعة:

وقد قسم العلماء أشراط الساعة بثلاثة اعتبارات: زمان وقوعها، ومكان الوقوع، ونوعها من حيث كونها مألوفة أو غير مألوفة.

فبالاعتبار الأول تنقسم إلى: علامات وقعت في الزمن الماضي، كبعثة النبي وموته، وعلامات ظهرت ولم تتم، كادعاء النبوة وتوسيد الأمر لغير أهله، وعلامات كبرى تقع قبل قيام الساعة مباشرة كخروج الدجال ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج.

وبالاعتبار الثاني تنقسم إلى : علامات سماوية ، كانشقاق القمر، وعلامات أرضية كخروج الدابة .

وبالاعتبار الثالث تنقسم إلى : علامات يألفها الناس ، كالتطاول في البنيان وأن تلد الأمة ربتها وعلامات غير مألوفة كطلوع الشمس من مغربها .(٢)

---

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة سوع، دار صادر بيروت ،د.ت، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ.

(٢) ينظر القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة، شمس الدين السخاوي ، تحـ محمد بن عبد الوهاب العقيل ، ص ٦٣ وما بعدها بتصرف.

المبحث الأول :

من بلاغة الأساليب الإنشائية في أحاديث علامات الساعة في البيان النبوي وأثرها على التركيب

ويشتمل على :

أولاً: أسلوب الاستفهام.
ثانيًا : أسلوب القسم.

******

أول خطوة للتعرف على فكر وشعور أي كاتب، أو قائل هي إماطة اللثام عن الخبايا الكامنة والمستترة وراء تراكيب كلامه، وما راعاه من خصوصيات في بنائها، هذا الحكم صادق على كل كاتب من البشر، فما بالنا إذا كان ذلك القائل موصولاً بوحي السماء، فلا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

إن المتأمل لحديث النبي صلى الله عليه وسلم عن علامات الساعة خصوصًا وعن كل موضوع حدث به أصحابه عمومًا، يجده قد سلك ثلاثة أنماط في بناء الكلام: النمط الإنشائي، والنمط الخبري المثبت، والنمط الخبري المنفي ولكلٍ مقامه الذي يتلاءم معه، فنعم هذه الأنماط هي أنماط بناء أي كلام، وليس يخرج عنها ، ولكن المراد بذكرها هو بيان الأسباب الداعية إلى اصطفاء نمط دون آخر في مقام دون غيره..

وهذا ما سأحاول تجليته في هذا المبحث وفيما بعده .

وقد برز أسلوبا الاستفهام والقسم في حديث النبي- صلى الله عليه وسلم- عن علامات الساعة بروزاً دعاني إلى الاقتصار عليهما دون غيرهما ، خصوصا وأن الغاية هي تلمس الأساليب الشائعة وليس استقصاء الأساليب الإنشائية أو الخبرية، هذا مع عدم إغفال تحليل ما يعرض من أساليب على اختلافها.

أولا : أسلوب الاستفهام.

الحديث الأول:

فمن الأحاديث التي بُنِيَت على الإنشاء الطلبي خصوصا الاستفهام لما له من قدرة على إيقاظ المتلقي وجذب انتباهه لما يلقى إليه، ما ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «**الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِنْ لَا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: " **مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الْأَمَةُ رَبَّهَا، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَتِ الْعُرَاةُ الْحُفَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رِعَاءُ الْبَهْمِ فِي الْبُنْيَانِ، فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ**، ثُمَّ تَلَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [لقمان: ٣٤] " قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ**»، فَأَخَذُوا لِيَرُدُّوهُ، فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ**»(١)

يبدأ الحديث بتصوير طبيعة مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم-والطريقة التي ظهر عليها جبريل – عليه السلام، فقد خرج عليهم بصورة رجل جلس عند النبي – صلى الله عليه وسلم-فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان ، فأجابه بهذه الأركان التي تمثل أصول الدين.

ولم يغب عن هذا المشهد صورة النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان بارزًا أي ظاهرًا لأصحابه غير محتجب، ولا ملتبس بغيره، وتنكير" بارزًا " يشعر بعظمته وعلو شأنه ومكانته، وفيه إشارة تعليمية إلى أنَّ العالم لا بد أن يكون في مكان مرتفع حتى يراه المتعلمون ويعرفه الداخل عليهم.

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإيمان ما هو وبيان خصاله رقم :٩ .

وكذلك فإن تنكير" رجل" أفاد معنى التعظيم فهو ليس أي رجل إنما هو جبريل عليه السلام الروح الأمين، وقد ظهر عليه السلام في صورة رجل. فالتنكير يوحي بعظمة المسؤول عنه وخطورة ما جاء ليعلمه للمسلمين، فلما كان المسؤول عنه عظيما ناسبه التنكير الموحي بالتفخيم والتعظيم، يؤازر ذلك تلك الهيئة التي جاء عليها.

ويأتي الحوار المبني على الاستفهام والجواب في حديثه -صلى الله عليه وسلم- لغرض أراد أن يبرزه ويعلمه للصحابة، وذلك لأن الحوار يساعد على تثبيت الفكرة في نفوس الصحابة _رضي الله عنهم-ولما فيه من تنبيه السامع وإيقاظ الذهن، وكذلك لأهمية الأمر المدعو إليه.

والهدف من وراء الحوار عن طريق الاستفهام في الحديث أن يعرف ماهية وحقيقة الإسلام والإيمان، وتوجيه الصحابة – رضوان الله عليهم – وتشويق المخاطبين إلى ما سيأتي بعد السؤال، فيتهيأ للجواب.

وقد جاء النداء في قوله: "يا رسول الله" ليجذب انتباه السامع، وفيه تشويق لما سيأتي بعده، ولأهمية ما سيلقى عليهم حيث إنه من الأهمية بمكان. ولبعد مكانة المنادى وأنه لا ينطق عن الهوى ناداه بحرف النداء(يا) التي للبعيد، ويؤيد هذا إضافة الرسول إلى لفظ الجلالة، وفيه دلالة على أن الجواب المنتظر لا ينكر ولا يشك فيه.

وفيه أيضا تشريف وتعظيم له صلى الله عليه وسلم، فقد أعلى الله شأنه ورفع قدره فقرن باسمه سبحانه ولم يناديه باسمه العَلَم في القرآن كما نادى أنبياءه ورسله بأسمائهم ولكن ناداه بقوله: " يا أيها الرسول" وقوله: " يا أيها النبي " تعظيما لشأنه ورفعة لمكانته.

وكذلك فيه دلالة على أن علم الساعة مما استأثر الله به فلم يُطلع عليه ملكا مقربا ولا رسولاً مصطفى، ويستفاد هذا من قوله صلى الله عليه وسلم ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.

وجاء السؤال في قوله: ما الإيمان ؟(إذ سأل عن حقيقتهما عنده، لا عن شرح لفظهما في اللغة، ولا عن حكمهما؛ لأنَّ "ما" في أصلها إنَّما يسأل بها عن الحقائق والماهيات، ولذلك أجابه النبي صلى الله عليه وسلم – بقوله: أن تؤمن بالله ...إلخ ؛ فلو كان سائلا عن شرح لفظهما في اللغة لما كان هذا جوابا له؛ لأنَّ

المذكور في الجواب هو المذكور في السؤال، ولما كان الإيمان في اللغة معلومًا عندهما، أعاد في الجواب لفظه، وبين له متعلقاته، وأنَّه قصره على تصديق بأمور مخصوصة) (١)

وقدم السؤال عن "الإيمان" لأنَّه الأصل واهتمامًا بشأنه واعتناء به لأن الإيمان اعتقاد في الباطن، لذا حينما كانت الأعراب على أول درجات الإيمان قال لهم الحق -سبحانه وتعالى-في محكم كتابه " **وقالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** " وثنى بـ "الإسلام" لأنَّه اعتقاد ظاهري فقد يكون الإنسان مسلمًا باللفظ فقط أما الباطن فلا، وثلث بـ -"الإحسان" لأن من يؤمن بالله حق الإيمان ويسلم وجهه له سبحانه وتعالى، فيترتب على ذلك أن يعرف أن الله يرانا ويرى ما في قلوبنا من الاعتقاد.

وكرر لفظ "الإيمان" للاهتمام والاعتناء بشأنه تفخيمًا لأمره وذلك " يعني أنَّ الإيمان الشرعي تصديق مخصوص وإلا لكان الجواب الإيمان التصديق والإيمان بالله هو التصديق بوجوده وأنَّه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص.

ويطالعنا فن " رد الأعجاز على الصدور"، حيث كرر لفظ التجنيس "تؤمن والإيمان"، ليرد الثاني إلى الأول لما بينهما من الربط وذلك لأنَّ اللفظ المكرر فيه إيضاح وتكرير، وفي ذلك من العناية والاهتمام في ذهن السامع، وقد أضفى على الكلام نوعًا من الخلابة والسحر، وتتجلى فائدة هذا الفن في التقرير يقول أبو هلال العسكري:" إنَّ لرد الأعجاز على الصدور موقعًا جليلًا في البلاغة وله في المنظوم خاصة محلًا خطيرًا"(٢)

ويتراءى لنا الإيجاز بالحذف عن طريق المصدر المؤول من "أن والفعل" في قوله:" أن تؤمن" وتقدير الكلام: الإيمان إيمانك، وقد حذف لأن السياق يدل عليه.

---

(١) المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم ، القرطبي، تحـ : محيي الدين ديب وآخرون، ج١ ص ١٤٤، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت،ط١ ، ١٩٩٦ م.

(٢) الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تحـ علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص ٣٨٥، المكتبة العصرية بيروت، ١٤١٩ هـ.

والتعبير بالمضارع " تؤمن" للدلالة على التجدد والاستمرار، وأن هذا الإيمان يتجدد ويستمر في نفس المؤمن.

ثم يأتي التفصيل بعد الإجمال فبعد أن ذكر السؤال عن الإيمان، وهذا سؤال مجمل أخذ يفصل المقصود بالإيمان، فكانت الإجابة بالتفصيل بأنَّه الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر ‘فلما جاء التفصيل كانت النفس متشوقة متطلعة متلهفة إلى ما سيكون فإذا ما جاء هذا التفصيل تمكن في النفس فضل تمكن فيقع فيها موقعًا حسنًا ‘فالإطناب هنا للإيضاح بعد الإبهام أو التفصيل بعد الإجمال.

وعطف هذه الأشياء على الإيمان من عطف الخاص على العام، فقد تحدث عن الإيمان أولًا ثم ذكر بعد ذلك ما يندرج تحت الإيمان، وتتجلى فائدة هذا النوع من الإطناب بأنَّه يوضح ويفسر ما كان مبهمًا، وينبه إلى فضل ومزية هذه الأشياء ومكانتها من الشرف والفضل، وفيه من العناية بشأن الخاص لذكره مرتين مرة بدخوله تحت العام ومرة بذكره منفردًا.

وهذا الترتيب جاء مطابقًا لقوله تعالى: "**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ**" (البقرة: ٢٨).ولعدم إفادة الواو َالترتيب والتعقيب، وتفيد مطلق الجمع فتقديم بعض الأسماء على بعض، أفاد أن الرحمة والخير من الحق سبحانه وتعالى، فمن أفضل نعم الله على عباده أن أرسل لهم الرسل مبشرين ومنذرين ويوضحوا لهم طرق الحق ، وأنزل عليهم الملائكة المقربين بالكتب المنزلة على أنبيائه ورسله.

وقد وصل بين المفردات في قوله:" تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه"، ولقائه، لما بينهما من التلاؤم والتجانس والتناسب فالإيمان بكل هذه الأمور من مقتضيات الإيمان، لذا وصل بينها.

"وأعاد العامل في قوله: " وتؤمن بالبعث الآخر" وكذا الجار، ولم يكتف بالعطف على لفظ الجلالة اهتمامًا بشأنه لأنَّ مشركي مكة وغيرهم من سائر المشركين ينكرونه."(١)

(١) الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحمد الأمين الهرري، ج٢ ص ٥٩دار المنهاج – دار طوق النجاة، ط : الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

ووصف " البعث" بـ "الآخر" للتأكيد، وقد يكون المراد من البعث الخروج من أرحام الأمهات إلى هذه الحياة الدنيا، أو المراد به البعث والنشور من القبور إلى الحساب.

وسمي اليوم الآخر بهذا الاسم لأنه يعد آخر أيام الدنيا أو أنه يكون في آخر الزمان.

والمراد بالإيمان باليوم الآخر أن يؤمن ويصدق بما يقع فيه من الجزاء والحساب، والجنة، والنار.

وفي التعبير بأن والفعل" أن تعبد" وذلك للدلالة على زمن حدوث الفعل في زمن الاستقبال، أما المصدر فلا يدل على زمن معين.

وخطابه -عليه السلام-بصيغة الإفراد وليس الجمع لأنه -عليه السلام-يقصد من وراء ذلك تعليم السامعين ما يشملهم من الأحكام التي تخص حقوقهم فليس الحكم خاصا وإنما يشمل جميع المكلفين.

والتعبير بالفعل المضارع " تعبد" للدلالة على استمرار الفعل وتجدد العبادة على الدوام.

والنهي عن الإشراك بالله في قوله:" ولا تشرك به شيئا" مراد به المعنى الأصلي، وهو النهي عن اتخاذ غير الله شريكًا، وهو من السبع الموبقات التي حرمها الله سبحانه وتعالى، فالنهي هنا للتحريم، وليس المراد به المعنى المجازي.

وأمَّا قوله:" ولا تشرك به شيئا" ذكر النهي عن الإشراك بعد العبادة، مع أنه داخل في مفهومها وذلك لأن الكفار كانوا يشركون مع الله إلها آخر، وفي زعمهم أنهم يعبدون الله في الظاهر، أما في الحقيقة فهم يعبدون مع الله آلهة أخرى فنهاهم عن ذلك.

"والكتب في الصلاة والفرض في الزكاة بمعنى واحد، وغاير بينهما كراهية تكرير اللفظ بعينه، فهو مذموم إلا أن يفيد معنى زائدًا، وهذا هو المسمى عند البديعيين بالتفنن، وهو ذكر نوعين من الكلام لثقل تكرار أحدهما على اللسان،

وخص الزكاة بلفظ الفرض لأن الفرض التقدير، وفي الزكاة تقديرات، تقدير النصاب، وتقدير القدر المخرج".(١)

وفي تنكير "شيئًا" ما يدل على التقليل والتحقير من شأن هذا الشيء الذي يتخذ إلهًا معبودًا من دون الله، وكذلك يدل على التنوع، فهذا الشيء الذي يعبد من دون الله لا يعتد به، ولا يلتفت إليه لدنوه وحقارته بجانب عبادة الرب الخالق.

ووصل بين قوله:" ولا تشرك به شيئًا" وبين قوله:" أن تعبد الله" لما بينهما من الاشتراك في الحكم الإعرابي حيث وقعت خبرا للإسلام.

وفي قوله:" وتقيم الصلاة المكتوبة" شبه إقامة الصلاة بإقامة العود، ثم استعير الإقامة بمعنى استقامة العود لإقامة الصلاة، ثم اشتق من الإقامة بمعنى إقامة العود واستقامته " تقيم" فصرح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية ، إذ المقصود من هذه الصورة المداومة على الصلاة والقيام بكل أركانها وواجباتها وشروطها، "وجاء تعبير الشارع عن أداء الصلاة بلفظ الإقامة دون أخواتها من بقية الفرائض، وذلك لما اختصت به من كثرة ما تتوقف عليه من الشرائط والفرائض والسنن، والفضائل، وإقامتها إدامة فعلها مستوفاة جميع ذلك."(٢)

والتعبير بالأفعال المضارعة "تعبد، لا تشرك، تقيم، تؤدي، تصوم" لتجدد هذه الأفعال واستمرارها.

(وعطف الصلاة والزكاة والصوم عليها لدخولها في الإسلام، لأنَّها لم تدخل تحت لفظ العبادة واقتصر على هذه الثلاث لكونها من أركان الإسلام وأظهر شعائره.

وترك الحج إمَّا لأنَّه لم يكن فرضًا وإما أن بعض الرواة شك فيه فأسقطه "ويحتمل أن يراد بها الطاعة مطلقا فيدخل جميع وظائف الإسلام فيها فيكون

(١) الكوكب الوهاج ج٢ ص ٦٠

(٢) إكمال الإكمال لأبي محمد بن يوسف السنوسي، ج١ ص ٦٤ مطبعة السعادة –مصر، ١٣٢٨ هـ.

عطف الثلاث عليها من باب ذكر الخاص بعد العام تنبيهًا على شرفه ومرتبته"(١)

ثم يأتي السؤال الثالث عن الإحسان متسائلًا باستفهام حقيقي بقوله:" ما الإحسان؟" فهو يتساءل عن ماهية الإحسان وحقيقته، وقد فصل بين السؤال الصريح وبين جملة القول لما بينهما من شبه كمال الاتصال، وكذلك فصل بين جملة القول وما بعدها لما بينهما من شبه كمال الاتصال.

ويأتي التشبيه في قوله: أن تعبد الله كأنك تراه" حيث، شبه من يعبد الله وينقطع إليه بالعبادة بإخلاص بمن يعمل العمل وعليه من يراقبه فيراعي إتقانه والإخلاص فيه ،ووجه الشبه الدقة والخضوع في العمل. واستخدم كأن " " لأنها أمكن في الدلالة على المعنى المراد فـ "التشبيه بكأن أبلغ من التشبيه بالكاف لما فيه من التوكيد لتركبها من الكاف وإن"(٢)

ويذكر صاحب فتح الباري بأنَّ التشبيه معناه " أنَّك تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك لكونه يراك لا لكونك تراه فهو دائمًا يراك فأحسن عبادته وإن لم تره فتقدير الحديث: فإن لم تكن تراه فاستمر على إحسان العبادة فإنَّه يراك"(٣)

"وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين وهو عمدة الصديقين وبغية السالكين، وكنز العارفين، ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها-صلى الله عليه وسلم-وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعًا من التلبس بشيء من النقائض

(١) الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، للكرماني ج١ ص ١٩٥، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ٢ ، ١٩٨١ م.

(٢) ينظر الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ، ص ٥٧١، تحـ د. فخر الدين قباوة ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٢ م.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ج١ ص ١٢٠، دار المعرفة بيروت ، ١٣٧٩ هـ.

احترامًا لهم واستحياء منهم فكيف بمن لا يزال الله مطلعا عليه في سره وعلانيته"(١)

والخطاب هنا في هذا الهدي النبوي لكل من تتأتى منه الرؤية فلا يختص بفريق دون فريق، وإنَّما الخطاب هنا عام يشمل من يوجه له الخطاب.

ثم يأتي الالتفات من أسلوب الخطاب إلى أسلوب الغيبة في قوله:" فإنه يراك" ليلفت انتباه السامع ويوقظ ذهنه ففيه من الإثارة والتشويق ما فيه.

إن ما تقدم في التعبير عن القضايا الكبرى لأصول الدين، والأجوبة التي حظيت بها من الرسول صلى الله عليه وسلم يترجم المسار التعليمي في جلسة الوحي، وما ينبغي أن يكون عليه المسلم من فهم واستقرار نفسي لاستيعاب تعاليم الدين الإسلامي، وما يقتضيه التصور الجديد للعقيدة، والمراقبة والتدين السليم، كل ذلك أخذ حقه من البيان النبوي واختص به الدنيا وعلاقتها بالدين، ثم انتقل إلى مسار آخر، لاستدعاء الآخرة وما يفرضه الحديث من إرشادات دينية وتربوية تستقيم بها حياة المؤمن حين يبلغ درجة من الفهم للإيمان وشروطه والإسلام وموجهاته والإحسان وأسراره؛ تمهيدًا لاستقبال الفتح الجديد الذي يصور حقيقة الدنيا، وأثر كل ما سبق في التمهيد لحديث الساعة وأشراطها وهي المعنية من وراء مقاربتنا، على نحو يجعلنا أمام سؤال جوهري، يعد في تصورنا سببًا لبناء قاعدة أساسية تتكامل فيها الأبعاد الدنيوية والأخروية، باعتبار أن السؤال عن الساعة، يحيل إلى الآخرة، وعلاماتها، ومن ثمَّ يأتي السؤال الرابع عن الساعة صريحًا بقوله:" متى الساعة؟"، وهذا السؤال الصريح يلقي بظلاله عن زمن وقوعها فكانت الإجابة بغير ما يتطلب بقوله:" ما المسؤول عنها بأعلم من السائل؟ " ويتراءى لنا من خلال التعبير أسلوب الحكيم، وهو " تلقِّي المخاطب بغير ما يترقَّب، بحمل كلامه على خلاف مراده، تنبيهًا على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب، بتنزيل سؤاله منزلة غيره، تنبيهًا على أنه الأولَى بحاله أو المهم له".(٢) ،

---

(١) فتح الباري ج١ ص ١٢٠

(٢) الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تحـ محمد عبد المنعم خفاجي، ص ١٦٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان ، ط ٦، ١٩٨٥ م.

فالسائل يسأل عن وقت قيام الساعة وموعدها، فتكون الإجابة بغير ما يتطلب ويلفت المصطفى -عليه السلام -إلى ما هو أهم من ذلك ليبين للسائل أنَّ الناس سواء في عدم العلم بتوقيتها، ومنهم النبي الذي يجهل موعد تحققها، وهو من البلاغة العالية التي تكسر أفق التوقع لدى السامع، للنظر فيما هو أولى وأنفع.

يقول السكاكي: " وإنَّ هذا الأسلوب لربما صادف المقام فحرك من نشاط السامع ما سلبه حكم الوقور، وأبرزه في معرض المسحور." (١)

"ومقصود هذا السؤال عن وقت الساعة لأنَّهم أكثروا السؤال عنها، فلما حصل الجواب بما ذكر هنا حصل اليأس من معرفتها بخلاف الأسئلة الماضية، فإنَّ المراد بها استخراج الأجوبة ليتعلمها السامعون ويعملوا بها، ونبه بهذه الأسئلة على تفصيل ما يمكن معرفته مما لا يمكن قوله من السائل

والسر في العدول عن قوله: لست بأعلم بها منك إلى لفظ يشعر بالتعميم ما المسؤول عنها بأعلم من السائل تعريضًا للسامعين أي أنَّ كل مسؤول وكل سائل فهو كذلك فائدة هذا السؤال والجواب. (٢)

وفي قوله:" سأحدثك عن أشراطها" المقصود" بالأشراط العلامات وقيل مقدماتها وقيل صغار أمورها قبل تمامها قال القرطبي: ومنه سمي الشُّرَط لأنهم يجعلون لأنفسهم علامات يعرفون بها، فقيل أشراط الساعة مقدماتها، وأشراط الشيء أوله،...)، وقيل الأشراط جمع شَرَط وهو الدون من الشيء، فأشراط الساعة صغار أمورها المتقدمة عليها ومنه سمي الشَّرَط" (٣)

واستدرك بـ " لكن" في قوله:" ولكن سأحدثك عن أشراطها " ليبدأ -عليه السلام-كلامًا مستأنفًا جديدًا.

وآثر" السين" دون " سوف" وذلك لأنَّ السين تدل على قرب الاستقبال، إذ السين في وضعها أقرب في التنفيس من "سوف" فالمضارع المقترن بالسين في قوله:" سأحدثك" لاستحضار الصورة وكأنَّها ماثلة أمام الأعين.

---

(١) مفتاح العلوم للسكاكي ، تحـ نعيم زرزور، ص ٣٢٧ دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط ٢، ١٩٨٧م.
(٢) فتح الباري لابن حجر ج١ ص ١٢١.
(٣) المفهم ج١ ص ١٤٧

والتعبير بـ " إذا" " دون " إن" وذلك لأنَّ "إذا" تدخل على الشَّرَط المحقق الوقوع فولادة الأمة ربها أمر محقق الوقوع وذلك، لأنَّها تعد من علامات الساعة فهو أمر مثبت محقق ومتيقن ومن صدق نبوته عليه السلام، ومما زاد الكلام تأكيدًا اقتران الفعل الماضي بـ " إذا" الشرطية.

وفي قوله:" إذا ولدت" التعبير بـ "إذا" للإشعار بتحقق الوقوع، أيضاً ووقعت هذه الجملة توضيحا وبيانًا فمن الأشراط إذا ولدت الأمة ربها فذاك من أشراط الساعة وعلامتها البارزة.

وقوله: "أن تلد الأمة ربتها" كناية عن كثرة أولاد السراري ،فإنَّ ولد الأمة من سيدها بمنزلة سيدها، لأن مال الإنسان صائر إلى ولده وقيل: كناية عن كثرة الفتوحات والسبي وقيل: كناية عن أنَّ الإماء يلدن الملوك لأنَّ أمه حينئذ تكون من رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته وأفضل ما يكون أنَّه كناية عن كثرة العقوق حتى يصير الولد لقلة الأسافل(١)

وقد جاء جواب الشرط بـ "الفاء" وذلك لأنَّ جملة جواب الشرط جملة اسمية فلذا ربط بينهما بالفاء واسم الإشارة ذاك يميز المشار إليه أكمل تمييز.

ثم عبَّر بالجملة الشرطية في قوله:" وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس" للدلالة على يقينية الخبر وجمع "العراة" يدل على كثرتهم وفي التعبير بـ "العراة" ما يدل على التحقير والتهوين من شأنهم، وفي وصف "العراة "بأنَّهم "حفاة" ما يدل على أنَّ الموصوفين بهذه الصفة هم أهل البادية الأعراب منهم، وفي التعريف بـ " أل " التي للعهد ما يشعر بأنَّ المصطفى -صلى الله عليه وسلم-يخص فئة معينة وهم الأعراب العراة.

وفي الجمع بين الوصفين "العراة الحفاة" دلالة على رثاثة حالهم، وفي صيرورتهم رؤوس الناس دلالة على انقلاب الأمور واختلال الموازين عن طريق الكناية.

وفي قوله: رؤوس الناس استعارة تصريحية أصلية، حيث شبه سيادة القوم وارتفاع شأنهم بالرؤوس بجامع العلو، وحذف المشبه وصرح بلفظ المشبه به،

(١) فتح المنعم شرح صحيح مسلم للأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، ج١ ص ٢١، دار الشروق، ط ١، ٢٠٠٢م،.

وهذه الاستعارة توحي بعموم الضلال حيث أصبح هؤلاء الذين اتصفوا بالعراة الحفاة رؤوسا للناس وهم على ما هم فيه من انعدام القيمة والوزن فكأن الناس أصبحوا حينئذ برؤوس فارغة لا تساوي شيئًا.

وفي التعبير بصيغة التفاعل في قوله تطاول رعاة ... إشارة إلى تنافسهم في ذلك ومبالغتهم فيه، وهذا ما يشهد بصدقه زماننا الحاضر.

ويتراءى لنا المجاز العقلي في قوله: -صلى الله عليه وسلم-"تطاول رعاء البهم"(١) في البنيان"، وعلاقته السببية إذ ليس هؤلاء الناس هم الذين يباشرون في الحقيقة التطاول، وإنما هم سبب مباشر للتطاول إذ الذي يقوم به من تحت أيديهم من الخدم والعمال وقيل فيه كناية، فأهل البادية وأشباههم من أهل الحاجة لتعاليهم والبسط عليهم يتطاولون، أي يتفاخرون في البنيان"(٢)

وتأتي بلاغة المجاز العقلي من حيث إفادته للمبالغة والإيجاز فقد أسند الفعل "تطاول " إلى "رعاء الإبل" لما بين الفاعل الحقيقي والمجازي من علاقة تشابه الفعل بهما، فتعلقه بالفاعل الحقيقي من حيث صدوره منه، وبالفاعل المجازي من حيث إنه السبب فيه، وفي هذا ما يدل على تبدل الحال وانصراف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر والتعالي بها.

وفي إضافة" رعاء" إلى " البهم" ما يشعر بالإيجاز والاختصار، وقد أغنت هذه الإضافة عن تفصيل يتعذر معه ذكر أسماء هؤلاء جميعًا فبدلًا من أن يقول فلان وفلان أغنت الإضافة عن هذا كله.

ويلحظ التجانس بين لفظي العراة ورعاء مما يدل على عموم الخلل فقد غدا الفقير سيدا، وغدا البدوي حضريًا.

قوله:" في خمس" متعلق بمحذوف تقديره: هي في عداد خمس، والحذف الغرض منه الإيجاز والاختصار، بالإضافة إلى الإيماء بالجهل بموعدها فقد

(١) البهم، بفتح الباء وإسكان الهاء: جمع بهمة، وهي صغار الضأن والمعز، الذكر والأنثى، وقيل: أولاد الضأن خاصة، النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين ابن الأثير، تحـ طاهر الزاوي ، ومحمود الطناحي ، ج١ ص ١٦٧ ، المكتبة العلمية بيروت، ١٩٧٩م.

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ، تحـ د. يحيى إسماعيل ، ج١ ص ٢٠٩. دار الوفاء مصر، طـ١، ١٩٩٨ م.

حذفها من اللفظ لعدم إحاطة العلم بها فيأتي التركيب دالاً على المعني وتجدك بالحذف أنطق إذا لم تنطق وأبين إذا لم تبن كما قال الإمام عبد القاهر وهو بصدد إشادته بالقيمة البلاغية للحذف: " هو بابٌ دقيقُ المَسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر، فإنكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بياناً إذا لم تبن".(١)

ويأتي القصر في قوله: " لا يعلمهن إلا الله" حيث قصر الصفة على الموصوف قصرًا حقيقيًا "فقد قصر علم الساعة علي الحق سبحانه وتعالى دون أن يتعداه إلى غيره وهذا من الأشياء التي استأثر الحق –سبحانه-بعلمها ولم يطلع عليها أحدًا من خلقه، قال الطيبي:" إن الفعل إذا كان عظيم الخطر وما ينبي عليه الفعل رفيع الشأن فهم منه الحصر على سبيل الكناية ولا سيما إذا لوحظ ما ذكر في أسباب النزول من أنَّ العرب كانوا يدعون علم نزول الغيث. والذي استأثر الله بعلمه إنَّما هو علم الغيب، أما ظن الغيب وما ينبئ على قواعد وعادات كالتنبؤ بالأحوال الجوية وما يقوله المنجمون والحساب فإنه قد يتخلف وليس في الشرع ما يدل على منعه." (٢)

ثم تلا _عليه السلام_ آية من الذكر الحكيم، حتى يكون تأكيدا وتوضيحا وتأييدا لما جاء به عليه السلام في حديثه عن علامات الساعة، فما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وفيه دلالة على توافق وتكامل الكتاب والسنة.

فجملة:" إنَّ الله عنده علم الساعة" مستأنفة استئنافًا بيانيًا لأنَّها وقعت جوابًا لسؤال أثارته الجملة السابقة وتقدير السؤال: متى اليوم الذي ذكر من شأنه ما ذكر؟ فكان الجواب إنَّ الله عنده علم الساعة" وفي هذا من الإثارة والتهييج، وهي واقعة موقع النتيجة لما تضمنه الكلام السابق في قوله: " إنَّ وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا." (فاطر آية ٥)

وقد تعانق مع هذا الأسلوب، وهو شبه كمال الاتصال أسلوب القصر الذي أفاد أنَّ علم الساعة مقتصر عليه -سبحانه-دون غيره وفي هذا من الإيجاز والمبالغة

(١) دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ، تحـ محمود شاكر ، ص ١٤٦، مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة ، ط ٣، ١٩٩٢ م.

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم للأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، ج١ ص ٢٤.

ما فيه، وهذا القصر من قبيل القصر الحقيقي التحقيقي، وقد أكد الكلام بإنَّ واسمية الجملة ليفيد أنَّ الحق سبحانه عنده علم الساعة، وفي هذا ما يؤكد وقوع القيامة وأنَّ كل ما أخبر به واقع لا محالة.

وفي تقديم لفظ الجلالة " الله" ولم يقل:" إنَّ علم الساعة عند الله " مع أنَّه أخصر لأنَّ اسم الله سبحانه أحق بالتقديم، ولأنَّ تقديمه وبناء الخبر عليه يفيد الحصر مع ما فيه من مزية تكرار الإسناد، وتقديم الظرف يفيد الاختصاص.(١)

والمسند إليه لفظ الجلالة " الله" والتعبير باسمه الأعظم ما يشعر بالمهابة والخوف والإجلال والتقديس وكذلك لإحضاره في ذهن السامع باسمه المختص به.

وقوله:" وينزل الغيث " معطوفة على " قوله: "عنده علم الساعة" والتقدير: إنَّ الله -سبحانه-يثبت عنده علم الساعة وينزل الغيث.

ووصل بين جملة "وينزل الغيث" وجملة " إنَّ الله عنده علم الساعة" للاشتراك في الحكم الإعرابي وهو وقوعها خبرًا والتقدير: وإنَّ الله ينزل الغيث فأفادت التخصيص، وأفادت كذلك تقوي الحكم، حيث إن جملة "ينزل الغيث" اشتملت على ضمير يعود على اسم " إنَّ" لفظ الجلالة "الله" فإذا تقدم المسند إليه ووليه خبر فعلي والجملة مثبتة أفاد أمرين تقوي الحكم والتخصيص.

وفي إسناد الفعل " ينزل" إلى "ضمير لفظ الجلالة" إسنادًا حقيقيًا لأنَّ إنزال الغيث من عند الله حقيقة، فالفاعل الحقيقي هو الله -عز وجل، وهذا يسمى حقيقة عقلية، لأن الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى.

وإيثار الفعل المضارع "ينزل" ليشعر بأنَّ إنزال الغيث يتكرر ويتجدد ويستمر منه -سبحانه تعالى-، ولم يراع هذا الأسلوب فيما قبله بأن يقال: ويعلم الغيث مثلًا إشارة بإسناد التنزيل إلى الاسم الجليل صريحًا إلى عظم شأنه لما فيه من كثرة المنافع لأجناس الخلائق وشيوع الاستدلال بما يترتب عليه من إحياء الأرض على صحة البعث المشار إليه بالساعة في الكتاب العظيم.(٢)

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي، تح علي عبدالباري عطية، ج١١ ص ١٠٧ دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
(٢) روح المعاني ج١١ ص١٠٧

وسمي المطر "غيثا " لأنَّه غياث الخلق به رزقهم وعليه بقاؤهم، والغيث مخصوص بالمطر النافع والمعنى أي وينزل الغيث في زمانه الذي قدره من غير تقديم وتأخير إلى محله الذي عينه في علمه من غير خطأ وتبديل فهو منفرد يعلم زمانه ومكانه وعدد قطراته.(١)

وعطف قوله:" ويعلم ما في الأرحام" على ما قبلها لإفادة التخصيص وكذلك تقوي الحكم وجيء بالمضارع "يعلم" لإفادة التجدد والاستمرار فهو سبحانه ينفرد بجميع أطوار خلق الإنسان منذ النطفة إلى أن سواه في أحسن صورة، ويعلم لونه وشكله وسعيد أو شقي صالح أم طالح.

ويقول صاحب التحرير: " فإن قلت: ما تلك النكتة التي دعت إلى العدول عن المثبت إلى المنفي في قوله: "وما تدري نفس ماذا تكسب غدًا وما تدري نفس بأي أرض تموت" قلت: هي أنَّ في نفي الدراية المخصوصة وتكريرها واختصاصها بالذكر دون العلم لما فيها من معنى الحيلة والخداع، وفي تكرير النفس وتنكيرها وإيقاعها في سياق النفي وتخصيص ما هو من خويصة كل نفس الدلالة على أن النفس إن لم تعرف ما يلصق بها ويختص بها، وإن أعملت حيلتها، ولا شيء أخص بالإنسان من كسبه وعاقبته"(٢)

"فإن قلت لم عد هذه الخمسة المذكورة في الآية مع أن كل المغيبات لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، قلت خصها لما أن السؤال عنها كثر كما ذكر في سبب النزول وكان أهل الجاهلية يسألون المنجمين عن هذه الخمسة زاعمين أنهم يعرفونها وتصديق الكاهن فيما يخبره من الغيب كفر (٣)

وآثر التعبير بقوله:" بأي أرض تموت" دون بـ " أي وقت تموت"، مع أن كلًا منهما غير معلوم لغيره تعالى، بل نفي العلم بالزمان أولى، لأنَّ من الناس من يدعم علمه بخلاف المكان؟ قلت: إنما خص المكان بنفي علمه، لأنَّ الكون في مكان دون مكان في وسع الإنسان واختياره، فاعتقاده علم مكان موته أقرب،

(١) روح البيان لإسماعيل حقي المولى أبو الفداء ج٧ ص ١٠٣ ،دار الفكر – بيروت.
(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ج٢١ ص ١٩٨، الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.
(٣) الكوكب الوهاج ج٢ ص ٦٦.

بخلاف الزمان، ولأن للمكان دون الزمان تأثيرًا في جلب الصحة والسقم أو تأثيره فيها أكثر"(١)

" وهذا النفي للدراية بهذين الأمرين عن كل نفس فيه كناية عن إثبات العلم بما تكسب كل نفس والعلم بأي أرض تموت فيها كل نفس إلى الله تعالى، فحصلت إفادة استئثار الله تعالى بهذين العلمين فكانا في ضميمة ما انتظم معهما."(٢)

"ومعنى حصر مفاتح الغيب في هذه الخمسة: أنَّها هي الأمور المغيبة المتعلقة بأحوال الناس في هذا العالم، وأنَّ التعبير عنها بالمفاتح أنَّها تكون مجهولة للناس فإذا وقعت فكأنَّ وقوعها فتح لما كان مغلقًا، وأما بقية أحوال الناس فخفاؤها عنهم متفاوت، ويمكن لبعضهم تعيينها مثل تعيين يوم كذا للزفاف ويوم كذا للغزو وهكذا مواقيت العبادات والأعياد، وكذلك مقارنات الأزمنة مثل: يوم كذا مدخل الربيع فلا تجد مغيبات لا قبل لأحد بمعرفة وقوعها من أحوال الناس في هذا العالم غير هذه الخمسة فأما في العوالم الأخرى وفي الحياة الآخرة فالمغيبات عن علم الناس كثيرة وليست لها مفاتح علم في هذا العالم"(٣)

يقول القرطبي:" واقتصر في هذا الحديث على ذكر بعض الأشراط التي يكون وقوعها قريبًا من زمانه وإلَّا فالشروط كثيرة، وهي أكثر مما ذكر كما دل عليه الكتاب والسنة، ثم إنَّها منقسمة إلى ما يكون من نوع المعتاد كهذه الأشراط المذكورة في هذا الحديث، وكرفع العلم وظهور الجهل وكثرة الزنا وشرب الخمر، وأمَّا التي ليست من المعتاد فكخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها والدخان والنار التي تسوق الناس وتحشرهم (٤)

وقوله:" إن الله عليم خبير" جاءت مؤكدة بإنَّ واسمية الجملة ردًّا على إنكار دعوى هؤلاء المشركين. ووضع لفظ الجلالة موضع الضمير في قوله:" إنَّ الله

---

(١) حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين إشراف ومراجعة الدكتور هاشم محمد، ج٢٢ ص ٣٠٧، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط ١،٢٠٠٢م.

(٢) التحرير والتنوير ج٢١ ص ١٩٨.

(٣) التحرير والتنوير ج ٢١ ص ١٩٨.

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ج١ ص ١٥٥.

" تعظيمًا لشأنه واهتمامًا به. ثم ختم الآية بالفاصلة "عليم خبير" ليناسب قوله:" يعلم" في بداية الآية و "الخبرة" تناسب الدراية وهذا ما يسمى تشابه الأطراف.

وفصل بين جملة " قال" وما بعدها لأنَّها تضمنت سؤالًا تقديره: فماذا قال؟ فكانت الإجابة" قال"

وعبَّر بـ ثم" التي تفيد التراخي، وكأنَّ هناك وقتًا زمنيًا بين ما قيل وبين الإدبار، ولكون الإدبار محققًا عبَّر بالفعل الماضي " أدبر" و " أل" في "الرجل" للعهد أي الرجل المعهود أو الملك جبريل الذي ظهر في صورة رجل و" الفاء " تفيد الترتيب والتعقيب حيث جاء قول الرسول عقب إدبار الرجل ولم يكن وقت ولا مهلة، وفي إسناد الفعل إلى فاعله في قوله: " فقال رسول الله" ما يشير بأنَّ القول صدر منه مباشرة والجملة الاعتراضية – صلى الله عليه وسلم- خبرية لفظًا إنشائية معنى والمراد منها الدعاء.

وفي التعبير باسم الإشارة "هذا" المشار إليه بالقرب لتعظيم سيدنا جبريل عليه السلام وتمييزه أكمل تمييز

والتعبير باسمه العلم" جبريل" لإحضاره بعينه باسمه المختص به وهي صورة الملك في جماله وحسن هيئته، والفعل الماضي "جاء" لإفادة تحقق الوقوع، ثم يذكر عليه السلام العلة والسبب من وراء مجيء سيدنا جبريل وهو أن يعلم الناس أمور دينهم و " أل " في الناس للجنس أي يشمل جميع الناس حاضرهم وغائبهم.

"هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم " إسناد الفعل "يعلم إلى ضمير جبريل مجاز عقلي، علاقته السببية لأنَّه السبب في الجواب، وجاء التعليم بصيغة الفعل المضارع المقترن بلام التعليل، وكأنَّه يحمل في طياته السؤال عن الإسلام والإيمان والإحسان ثم الإجابة عن كل واحد منها، وذلك أكثر أثرا في النفوس وأمكن.

إنَّ ما تقدم في الحديث السابق من خصائص التعبير النبوي قد أدى إلى تشخيص أشراط الساعة، وعلاماتها الكبرى، التي تتحول الحياة الدنيا بمقتضاها إلى علامة دالة ومؤشر متسارع في التحول نحو الآخرة، بمعنى أن ذكر علامات الساعة في هذا السياق ليست سوى إنذار بقرب الموعد، وتحفيز بالاستقبال الزمني الجديد، إيمانًا بأن الدار الآخرة لهي الحيوان.

وقد تضافرت العديد من الفنون البلاغية في الحديث بأكمله وفي الفقرة الخاصة بالسؤال عن موعد الساعة وجواب النبي بأشراطها دون تحديد لموعدها، للدلالة القاطعة على استئثار الله عز وجل بالعلم بها برز ذلك في أسلوب الاستفهام، وأسلوب الحكيم وفي العدول عن صيغة إلى صيغة أخرى وفي التكرار لبعض الألفاظ على النحو الذي مر بيانه.

كما تضافر أسلوب الشرط الذي برز في أداة تدل على الأمور المقطوع بوقوعها وهي أداة(إذا) مع الكنايات المختلفة للدلالة على قرب وقوع الساعة فإن علاماتها قد وقعت أو متحققة الوقوع ، وهي مؤيدة بأدلة مستمدة من الكنايات، فمعلوم أن الكناية تزيد في إثبات المعاني كما قال الإمام عبد القاهر :" ليس المعنى إذا قلنا: "إن الكنايَة أبْلغُ منَ التَّصريح"، أَنك لمَّا كنَّيْتَ عن المعنى زدْتَ في ذاته، بل المعنى أَنك زِدْتَ في إثباتهِ، فجَعلْتَه أبلغَ وآكَدَ وأَشَدَّ... أما "الكنايةُ"، فإنَّ السببَ في أنْ كانَ للإثباتِ بها مزيةٌ لا تكونُ للتَّصريح، أنَّ كلَّ عاقلٍ يَعْلمُ إذا رجعَ إلى نفسهِ، أَنَّ إثباتَ الصفةِ بإثباتِ دَليلِها، وإيجابَها بما هُو شاهِدٌ في وجودِها، آكدُ وأبلغُ في الدعوى من أن تجيء إليها فتثبتها هكذا ساذَجاً غُفْلاً. وذلك أنَّكَ لا تدَّعي شاهدَ الصفةِ ودليلهَا إلاَّ والأَمرُ ظاهرٌ معروفٌ، وبحيثُ لا يُشَكُّ فيه، ولاَ يُظَنُّ بالمُخْبر التجوُّزُ والغَلَطُ".(١)

وقد بُني هذا الحديث على أسلوب الاستفهام: ما الإيمان ؟ ما الإسلام؟ ما الإحسان ؟ متى الساعة؟ متضافراً مع أسلوب النداء يا رسول الله ، ممتزجاً مع الجمل الخبرية المثبتة الدالة ببنائها على تأكيد محتواها .

الحديث الثاني

وهذا حديث آخر من أحاديثه صلى الله عليه وسلم ، يمكن أن يندرج تحت ما انبنى على الإنشاء خصوصاً الاستفهام إذا ما نظرنا إلى سؤاله صلى الله عليه وسلم لصحابته ما تذاكرون ؟ ، وأن يندرج تحت الجمل الخبرية المثبتة المؤكدة إذا نظرنا إلى قوله : إنها لن تقوم ...

وذلك فيما روي عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: "**إِنَّهَا**

(١) دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ص ٧٠ وما بعدها بتصرف.

لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ -فَذَكَرَ -الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ"(١)

فيفتتح الحديث بالاستفهام(ما تذاكرون؟) ليعلم ما عندهم ، ثم يوجههم إلى الجواب الصحيح والخبر اليقين ، فقد انبنى الحديث على هذا السؤال جذباً لاهتمام المخاطبين وإيقاظاً لهم لتلقي الأمر المهم.

وتأتي الجملة الخبرية المؤكدة في قوله: " إنَّها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات" وفي ذلك تأكيد على أن قيام الساعة، متوقف على وقوع هذه العشرة .

وأكد كلامه بـ " لن" التي تفيد النفي مع التأبيد، ومع أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم لم ينكروا ما يقول المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ولكنَّه أكد لهم الكلام بأكثر من مؤكد تنزيلًا لخالي الذهن منزلة السائل المتردد، وكأنَّه يشير إلى ما يجب أن يكونوا عليه حين سماع الخبر.

ولعله أكد كلامه لينفي الأخبار التي تذاكروها قبل خروجه عليهم ، وكأنه إشارة منه إلى اطراح ما يعلمون والتمسك بما يذكره لهم.

وفي الإتيان بـ "حتى" الغائية ما يشعر بأنَّ الساعة لن تقوم حتى يكون هناك من الآيات والفتن التي تكون قبل قيامها.

والخطاب في قوله: " ترون" لكل من تتأتى منه الرؤية وقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " قبلها" أي أنَّ تلك الآيات تظهر قبل قيام الساعة، وإضافة "عشر" إلى " آيات" للإيجاز والاختصار.

وتنكير" آيات" يشعر بعظم تلك الآيات وأنَّها آيات عظام، وعاون على فهم المعنى جمع الكلمة كذلك، وفي الاقتصار على هذه الآيات العشر مع أنَّ هناك العديد من علامات الساعة وأشراطها وذلك لأنَّ هذه الآيات التي ذكرت هنا تعد العلامات الكبرى التي تكون قبل قيام الساعة، وفي ذلك ما يومئ بوقوع تلك العلامات.

(١) صحيح مسلم ج٤ ص ٢٢٢٥ الرقم ٢٩٠١

ويأتي التفصيل بعد الإجمال في قوله:" "عشر آيات" فبعد أن أجمل تلك الآيات أخذ يفصلها ويذكرها، وفي ذلك ما يوقظ الذهن، ويلفت ويجذب انتباه السامع أو المتلقي إلى ما سيأتي بعده ويأتي التفصيل بعد الإجمال والنفس متشوقة متلهفة متطلعة إلى ذكر هذه الأشياء فإذا ما جاءت استقرت في الذهن، وثبتت وتمكنت في النفس فضل تمكن.

فذكر -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أولا " الدخان" يقول الإمام النووي: " إنَّ الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام وأنَّه لم يأت بعد، وإنَّما يكون قريبا من قيام الساعة.(١)

والدخان " خبر لمبتدأ محذوف أي أنَّ المسند إليه محذوف في الكلام والتقدير: أولها الدخان والحذف للإيجاز والاختصار ولضيق المقام و " أل" في " الدخان" للعهد أي الدخان المعهود المعروف الذي ذكره الحق -سبحانه وتعالى- في قوله: " فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ"

وذكر القرطبي ثلاثة أقوال في الدخان عن عبد الله بن عمرو قال : حفظت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثا لم أنسه بعد : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول " : إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما ما كانت قبل صاحبتها ، فالأخرى على إثرها قريبا " وأول العلامات " الدخان" شبه الزكام وأمَّا الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من فمه ومنخره وعينيه وأذنيه ودبره، القول الثاني: أنَّ الدخان ما أصاب قريشًا من الجوع بدعاء النبي -صلى الله عليه وسلم حتى كأنَّ الرجل يرى بين السماء والأرض دخانا، القول الثالث: إنَّه يوم فتح مكة لما حجبت السماء الغبرة. (٢)

ويأتي حذف المسند إليه في قوله: والدجال " والتقدير: ثانيها " الدجال" والحذف للإيجاز والاختصار وضيق المقام، وقيل سمي دجَّالًا بصيغة المبالغة "فعال" لأنَّ الناس يغترون بشره.

---

(١) شرح النووي على مسلم ج١٨ ص ٢٨

(٢) تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن تح أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج١٦ ص ١٣١ ،دار الكتب المصرية -- القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤م.

ثم يحذف المسند إليه أيضاً في قوله: " والدابة " والتقدير: ثالثها الدابة، والحذف مراد منه الإيجاز والاختصار وضيق المقام، وخروج "الدابة" علامة من علامات الساعة الكبرى، يخرجها الله –عز وجل-ليعلم الناس قرب انتهاء الحياة الدنيا الزائلة، وقد ورد ذكرها في محكم تنزيله "وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ"(النمل آية ٨٢) ، ومخاطبة الدابة للناس، ووصفها إياهم بالإيمان أو الكفر أمر خارج عن مجال العادات.

و" طلوع الشمس من مغربها" قدم الطلوع وإن كان متأخرًا في الوقوع: لأنَّ مدار عدم قبول التوبة عليه، وظهورها يوجب عدم قبول إيمان: " أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ" (الأنعام: ١٥٨)

وطلوع الشمس من مغربها؛ لتميز بين الكافر والمؤمن وطلوع الشمس من مغربها، فإنَّها على خلاف عادتها المألوفة، وحذف المسند إليه إيجازًا واختصارًا في الكلام والتقدير: ورابعها طلوع الشمس من مغربها.

"والذي يترجح من الأخبار أنَّ خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأنَّ طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب."(١)

ثم ذكر بعد ذلك العلامة الخامسة وهي "نزول عيسى عليه السلام" وهنا كذلك حذف المسند إليه والتقدير: وخامسها نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقد ورد في القرآن ما يدل على ذلك ،ومنه قول الحق سبحانه وتعالى: "**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا**" النساء: ١٥٩.

(١) القيامة الصغرى: للأشقر العتيبي، ص٢٢٠ دار النفائس للنشر والتوزيع، مكتبة الفلاح، الكويت. .

وقد ورد في أحاديثه ما يؤكد نزوله -عليه السلام-ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم-"ليوشكن أن يخرج فيكم ابن مريم حكما مقسطًا يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد"

ثم ذكر -صلى الله عليه وسلم-العلامة السادسة من علامات قيام الساعة وهي خروج يأجوج ومأجوج(١) وكان خروجهما من العلامات التي تدل على قرب الساعة؛ لأنَّ الناس لم يروها قبل خروجهم، ولما فيهم من الكثرة الهائلة، ولأنَّهم يطئون البلاد فلا يأتون على شيء إلَّا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلَّا شربوه، حتى إن أوائلهم يشربون بحيرة طبرية.(٢)

ويحذف المسند إليه والتقدير: وسادسها خروج يأجوج ومأجوج" والحذف للإيجاز والاختصار وضيق المقام.

ومن العلامات التي تدل على قرب قيام الساعة قوله: "ثلاثة خسوف(٣)" التي ذكرت في حديثه -صلى الله عليه وسلم-وفي إضافة "ثلاثة" إلى "خسوف" وتنكير "خسوف "ما يشعر ببيان العدد والتقييد بالثلاث، لأنَّ ما ذكر في الحديث لا يتعداها وقد وردت على سبيل الإجمال أو التوشيع، حيث ذكر الثلاثة أولًا ثم فسرها بثلاثة أشياء كل واحدة منها معطوف على الأخرى، فقد جعل النفس تتشوق وتتلهف وتتطلع إلى معرفة ما سيأتي بعدها فإذا ما جاء تمكن في النفس فضل تمكن، ووقع في النفس موقعًا حسناً ومنها: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب.

وتكرار " الخسف" يشعر بالتخويف والترهيب من ذلك الخسف، ووصل بين تلك الجمل لما بينها من الاشتراك في الحكم حيث وقعت تلك الجمل بدلًا من ثلاثة خسوف وكذلك لما بينها من التناسب.

---

(١) يأجوج ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة ألف رجل لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلهم قد حمل السلاح لا يمرون على شيء إذا خرجوا إلا أكلوه ويأكلون من مات منهم، فتح المنعم ج١٠ ص ٥٠٨

(٢) الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر ص٣٣٠

(٣) الخسف: سؤوخ الأرض بما عليها من الأشياء، انخسفت به الأرض وخسفها الله به وعين خاسفة: فقئت، وغابت حدقتها وبئر خسيف مخسوفة، أي نقب حبلها

وكل هذه الأشياء خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: أولها خسف بالمشرق وثانيها: خسف بالمغرب وثالثها خسف بجزيرة العرب، وذلك للإيجاز والاختصار ولضيق المقام.

ثم ذكر آخر هذه الأشياء" بقوله-صلى الله عليه وسلم: " وآخر ذلك نار تخرج من اليمن" أي وآخر تلك العلامات نار تخرج من اليمن، وقيل: معناه من أقصى قعر أرض عدن وعدن مدينة معروفة مشهورة باليمن، قال الماوردي: سميت عدنًا من العدوون وهي الإقامة لأنَّ تبعا كان يعيش فيها أصحاب الجرائم، وهذه النار الخارجة من قعر عدن واليمن هي الحاشرة للناس. (١)

قال القاضي عياض:" لعلها ناران تجتمعان تحشران الناس، أو يكون ابتداء خروجها من اليمن، وظهورها من الحجاز، واسم الإشارة "ذلك" يشير إلى تمييز المشار إليه أكمل تمييز وتنكير " نار" يشعر بتعظيم تلك النار، فهي نار عظيمة هائلة، وفي الإتيان بالمسند إليه نكرة وإيلاؤها بالخبر الفعلي "تخرج" ما يشعر بتوكيد الحكم وتقريره، والاختصاص كذلك أي نار تخرج من أرض اليمن خاصة لا من غيرها.

وفي قوله:" تطرد الناس إلى محشرهم" استعارة، حيث شبه النار بإنسان يسوق الناس أمامه، ثم أثبت له أحد لوازمه على سبيل الاستعارة بالكناية.

وتحتمل كونها استعارة تصريحية، حيث شبه السوق بالطرد وحذف المشبه واستعار الطرد للسوق ، ثم اشتق منه تطرد بمعنى تسوق على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وهذا التصوير يوحي بأنَّ النار تسوق الناس ولا تترك فردًا، وإنَّما تسوقهم جميعًا، وتومئ إلى نهاية الدنيا فلم يعد لأحد فيها مكان فالجميع مطرودون إلى أرض الحساب.

ثانيًا : القسم.

الحديث الأول

ونوع آخر من الإنشاء وهو القَسَم الذي افتتح به حديثه صلى الله عليه وسلم عن إحدى علامات الساعة وذلك فيما روي عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ، أَحَدُهُمَا**

(١) شرح النووي على مسلم ج١٨ ص ٢٨.

رَأْيَ الْعَيْنِ، مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالْآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ، نَارٌ تَأَجَّجُ(١)**، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ، فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ، ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ**(٢) **رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ، عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ**(٣) **غَلِيظَةٌ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يقرأه كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»**(٤)

يحذرنا النبي -صلى الله عليه وسلم- من الفتن التي تقع في آخر الزمان، وقد أعلم الحق –سبحانه-نبيه وحبيبه بما يخص الدجَّال، فهو أعلم بما في يد الدجَّال من الدجَّال نفسه، وأنَّه يأتي ومعه نهران يجريان أحدهما ماء والآخر نار، فأمَّا الذي يرى للرائي نار فهو ماء، والعكس والذي يرى نار فهو ماء، وأنَّ من يدرك هذا الزمان فليذهب إلى النهر الذي يراه نارًا فيذهب إليه فهو ماء، وليغمض عينيه حتى لا تخدعه العين فيرجع، وليطأطئ ويشرب منه فإذا هو ماء بارد.

وأول ما يطالعنا في هذا الحديث النبوي أسلوب القسم، حيث أقسم صلى الله عليه وسلم وحذف القسم، ودل عليه جوابه والتقدير: والله لأنا أعلم بما مع الدجال مما يلبس به على الناس من الجنة والنار ، وفيه إشارة إلى أنَّ الدجَّال لا يعلم حقيقة ما معه، مؤكدًا كلامه بضمير التكلم " أنا" الذي يفيد تعظيم نفسه تلك العظمة المستمدة من كونه رسولاً لله موصولاً بوحي السماء والمقام مقام تكلم، وقد سبقته اللام الموطئة للقسم.

والتعبير بصيغة التفضيل " أعلم" ليدل على أفضليته وعلمه بما في يدي الدجال من الدجال نفسه، وكأنَّي بالحبيب يشير بذلك إلى أنَّ الدجَّال لا يعلم حقيقة جنته وناره، وفيه إشارة إلى أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

---

(١) أجج الأجيج: تلهب النار، وقد أجت توج أجيجا، وأججتها فتأججت وأئتج ت، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، تح أحمد العطار ، ج١ ص ٢٩٧، دار العلم للملايين بيروت ط ٤ ، ١٩٨٧ م.

(٢) طأ، والهمزة، وهو يدل على هبط الشيء ومن ذلك قولهم: طأطأ رأسه وهو مأخوذ منا الطأطأ وهو منهبط من الأرض، مقاييس اللغة ج٣ ص ٤٠٧

(٣) الظفرة: لحمة تنبت في الحدقة، الظفر: لحم ينبت في بياض العين، وربما جلل الحدقة، تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي ، ج١٢ ص ٤٧٣، دار الهداية ، د.ت.

(٤) صحيح مسلم ج٤ ص ٢٢٤٩ الرقم ٢٩٣٤.

وقد تضمن قوله -عليه السلام:" لأنا أعلم بما مع الدجال منه" وكأنَّ سائلًا سأله وما معه يا رسول الله؟ فكانت الثانية جوابًا عنه " معه نهران يجريان" ففي السؤال المفترض إثارة وتهييج للعقل وفي الإجابة اطمئنان وراحة وهذا ما يفيده، شبه كمال الاتصال.

ولعل الغرض من التقديم في قوله: معه نهران يجريان، الاهتمام بالمقدم، وكأنَّ النفس متلهفة متطلعة إلى معرفة ما مع الدجال فإذا ما جاء المسند إليه " نهران" صادف نفساً متشوفة متطلبة فتتقبله بقبول حسن ، فينيخ رحاله في القلوب والعقول.

وفي إسناد ضمير "الجريان" إلى "الأنهار" في قوله:" نهران يجريان" وذلك لأنَّ الأنهار اسم للأمكنة التي تجري فيها المياه، وإنَّما يجري الماء لا النهر، ولكن لما كان النهر مكانا للجريان صح إسناد الفعل إليه لعلاقة المكانية، وتكمن بلاغة المجاز في أن الماء لكثرته يُرَى النهر وكأنَّه يجري وهو لا يجري وإنَّما يجري ما في داخله.

ويأتي التوشيع في قوله: "نهران يجريان" عبَّر بالمثنى أولًا ثم فسر هذا المثنى بشيئين معطوف أحدهما على الآخر، فأخذ يفسر هذين الشيئين بقوله: "أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج" أي فأحد النهرين ماء صاف لونه أبيض، والآخر نار تأجج، تلتهب وتزداد اشتعالاً.

وفي تكرار قوله:" رأي العين " والاعتراض به بين المبتدأ والخبر، ما يشعر بالتأكيد والتقرير من أنَّ العين ترى هذين الشيئين رؤية واضحة جلية مما يدل على شدة الفتنة .

وأمَّا قوله:" أدركن " بالنون فيدل هذا اللفظ أن الفعل "أدرك" ورد لفظه بالماضي ولكن معناه الاستقبال، وقد لحقت النون الفعل الماضي لأنه أراد به معنى الاستقبال.

وآثر البيان النبوي لفظ " الإتيان" دون " المجيء" وذلك لأنَّ " المجيء" كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأنَّ الإتيان مجيء بسهولة والإتيان: قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن معه الحصول"(١)

ويأتي جواب الشرط مقترنًا بـ " الفاء" في قوله:" فليأت النهر" ليلفت الانتباه بهذا الجواب الذي قرن بـ "الفاء" التي تفيد التعقيب، وكذلك التعبير بصيغة الأمر التي تفيد النصح والإرشاد والتوجيه، لأنَّ في ذلك من المصلحة التي تأتي من وراء هذا الأمر لأنَّ في مخالفة الأمر ما يكون فيه إفساده.

والتعبير بقوله:" فليأت النهر الذي يراه نارا" يشعر بأنَّ ناره التي تكون في الحقيقة ماء، وإنَّما يخيل لعين الرائي أنَّها نار.

ويأتي الوصل بين الجملتين في قوله:" فليأت وليغمض " لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث أنَّ الجملتين اتفقتا في الإنشائية لفظًا ومعنى، وبينهما تجانس وتناسب، ولا يمنع من الوصل مانع، وأيضاً لأن الفعلين مطلوبان معاً الإتيان والإغماض.

وقد اختلفت أداة العطف عن الجملة السابقة، وكأنَّه حين يأتي النهر يكون عقب إدراك النهر، ثم يأتي إغماض العين في المرتبة التالية مسبوقًا بـ"الواو" العاطفة في قوله:" ليغمض" ليشعر بأنَّه لا ينخدع ولا تخدعه العين فيرجع، وفي إغماضها تثبيت للقلب حتى لا يتأثر بهول النار.

وعطف بـ "ثم" في الفعل الثالث في قوله:" ثم ليطأطئ رأسه" ليدل على أنه بعد أن أتى النهر وأغمض العين فقد هدأت نفسه واطمأن فليلتقط أنفاسه وليطأطئ رأسه يستفاد ذلك من دلالتها على المهلة والتراخي . وعليه أن يبادر بالشرب منه لِيَستَيْقِن من كونه ماءً، ولذا عُطِف بالفاء .

وفي التعبير بالأفعال متتالية لبيان ما يجب أن يفعله الشخص حين يرى الفتنة فيخيل لعين الرائي أنَّها نار، والتعبير بالفعل المضارع "يشرب" لاستحضار الصورة التي عليها وكأنَّها تتمثل أمام الأعين، والالتفات من أفعال الأمر إلى

(١) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني، تحـ : د/ محمد أحمد خلف الله، مادة جاء، ص ١٤٦، مكتبة الأنجلو.

الفعل المضارع " يشرب" فيه إيقاظ للذهن وإثارة الانتباه فعلى العبد أن يستجيب إلى أوامره -عليه السلام.

وعبَّر بالأفعال المضارعة مقترنة بلام الأمر في قوله: " فليأت، وليغمض، وليطأطئ" ولم يعبّر بفعل الأمر مباشرة، وذلك لأنَّ الفعل المضارع يراد به التجدد والحدوث، ولدلالة الأمر على طلب الفعل، والتعبير بالخطاب في هذه الأفعال الثلاث حتى يكون النصح والإرشاد والتوجيه ولذا آثر التعبير بالأمر.

ثم ينتقل -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إلى التعبير بالجملة الاسمية المسبوقة بـ " الفاء " التعليلية في قوله: " فإنه ماء بارد" أي، فالذي يتأتى للرؤية إنَّما هو ماء وليس نارًا وفي رواية أخرى إنَّ معه «إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً، فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا، فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ، فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ نَارًا، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ»، فَقَالَ عُقْبَةُ: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ تَصْدِيقًا لِحُذَيْفَةَ(١)

وذلك راجع إلى اختلاف المرئي بالنسبة للرائي، فإن (٢) قلت: النار كيف تكون ماء وهما حقيقتان مختلفتان؟ أجاب: بأنَّ المعنى ما صورته نعمة ورحمة فهو في الحقيقة لمن مال إليه نقمة"

وإما أن يكون كناية عن النعمة والرحمة بالجنة وعن المحنة بالنار، فمن أطاعه فأنعم عليه بجنته يؤول أمره إلى دخول نار الآخرة، وبالعكس، فالله -سبحانه وتعالى-يجعل ناره ماء باردًا عذبًا على من كذبه وألقاه فيها غيظًا كما جعل نار نمرود بردًا وسلامًا على إبراهيم -عليه السلام_ ويجعل ماءه الذي أعطاها لمن صدقه نارا محرقة دائمة (٣)

وكل ما يظهره الله -تعالى-على يدي الدجال من الخوارق للعادة محن امتحن الله بها عباده وابتلاهم بها ليتميز أهل التنزيه والتوحيد بما يدل عليه العقل السديد من استحالة الألوهية على ذوي الأجسام وإن أتوا على دعواهم بأمثال تلك الطوام أو ليغير أهل الجهل باعتقاد التجسيم حتى يردهم ذلك نار الجحيم.(٤)

---

(١) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٥٠
(٢) شرح القسطلاني ج١٠ ص ٢١٠
(٣) الكوكب الوهاج ج٢٦ ص ٢٤١
(٤) السابق ج٢٦ ص ٢٣٩.

ثم أخذ يوضح صفات الدجال بقوله:" وإنَّ الدجال ممسوح العين" مؤكدًا الكلام بإنَّ واسمية الجملة ووضع الاسم الظاهر موضع الضمير في قوله:" الدجال" لتمييزه أكمل تمييز باسمه وصفته تحقيرًا لشأنه وازدراءً له " فلم يقل إنه، وإنَّما عبر عنه بالأسلوب الخبري ليقرر ويثبت هذه الصفات له وهو أنَّه مطموس العين لا يرى بها شيئًا وفي إضافة "ممسوح" إلى "العين" ما يشعر بانطماسها وكأنَّه تتساوى مع الوجه لا يظهر لها أثر في الوجه.

وفصل بين قوله:" الدجال ممسوح العين " وبين قوله:" عليها ظفرة غليظة" لأنَّ هذه الصفات لموصوف واحد وهو الدجال، فقد تواردت هذه الصفات كلها بدون حرف العطف لأنَّ موصوفها واحد.

وفي تقديم الجار والمجرور" عليها" على المبتدأ "ظفرة غليظة" للتشويق إلى ذكر المسند إليه، فإذا ما جاء المسند إليه صادف نفسًا يقظة فوقع فيها موقعًا حسنًا.

وفي تنكير " ظفرة" ووصفها بكونها "غليظة" ما يشعر بتحقير تلك اللحمة التي غطت العين وطمست عنها الرؤية.

ثم تأتي الصفة الثالثة وهي كونه " مكتوبًا بين عينيه كافر" "والكتابة على ظاهرها وأنَّها كتابة حقيقية جعلها الله آية وعلامة من جملة العلامات القاطعة بكفره وكذبه، وإبطاله ويظهرها الله تعالى لكل مسلم كاتب وغير كاتب، ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته"(١)

والتعبير بقوله:" مكتوب بين عينيه كافر" "يعني تتقطع سرر جبهته بحيث تنشأ منها هذه الأحرف الثلاثة بكل وضوح، فيكون دليلا على كفره ودجله"(٢)

وهو كناية عن ظهور تلك العلامة وبروزها، وتشير كذلك إلى أنَّه يدعو إلى الكفر لا إلى الرشد، فيجب علينا اجتنابه وتعد هذه العلامة نعمة من الحق-سبحانه-للمؤمنين لأنَّهم من يرونها أمَّا غيرهم فلا يرونها، فقد ظهر رقم الكفر بين عينيه، كي يهتدي المؤمن ولا يغتر بما يظهر على يديه من خوارق العادات.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج النووي ، ج١٨ ص ٦٠.
دار إحياء التراث العربي–بيروت، ط٢، ١٣٩٢م..
(٢) منة المنعم ج٤ ص ٣٧٤

والتعبير بصيغة الفاعل " كافر" أي أنَّه ثابت على الكفر لا يتغير.

وليستحضر صورة "الدجال" وأنَّ كل من يراه وينظر إليه من المؤمنين يرى تلك العلامة البارزة لهذه الفئة عبَّر بالفعل المضارع " يقرأ"، وفي إضافة " كل" إلى النكرة "مؤمن" ليشمل كل من آمن بالله فهم المخصوصون بهذا الأمر دون غيرهم، فالكافرون لا يرون تلك العلامة، وإنما هي منحة اختص الله بها عباده المؤمنين.

وفي التعبير بقوله:" يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب" كناية عن أنَّه يستوي في قراءته من يعرف القراءة والكتابة، ومن لا يعرف، فكل منهم يقرأ ما يكتب بين عيني الدجال بأنه كافر، حتى لا يفتن به وهذا من معجزة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم-حتى يحفظ الله المؤمنين من تلك الفتن.

وفي وصف " المؤمن" بكونه " كاتب وغير كاتب" ما يشير إلى تعظيم ذلك المؤمن فيستوي في ذلك من يكتب ومن لا يكتب.

وتنكير الكلمة، وطباق الإيجاب والسلب بين كاتب وغير كاتب يشعر بصدق دعوته صلى الله عليه وسلم، وعموم المنحة لعباد الله المؤمنين.

الحديث الثاني

ومن الأحاديث التي افتتحت بالقسم ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم : " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَذَا الْقَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ إِلَّا الْبَلَاءُ**(١)

أول ما يلفت الانتباه من أساليب التعبير في هذا البيان النبوي، صيغة القسم المتقدم على خطاب المستقبل، فيتأهب المتلقي نفسيًا لما يتضمنه الحديث بقول رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ...

ويحيلنا أسلوب القسم في مقاربته الإنشائية، وما يقتضيه الخبر في سياق التأكيد على دفع الشك أو الإنكار أكد النبي -صلى الله وسلم-بقوله:" والذي نفسي بيده" وفيه إشارة واضحة من النبي إلى أنَّه وإن كان نبيًا، فإنَّه لا يملك من أمره شيئًا، فإنَّ نفسه التي بين جنبيه بيدي الله تعالى، وفيها مطلق لإرادة الله، واعتراف بعبوديته وبشريته، فما هو إلا رسول فبلغ عنه.(٢)

وهذا القسم يؤكد وقوع المقسم عليه، وإثارة انتباه المتلقي والسامع إلى ما سيأتي بعد هذا الأسلوب، بالإضافة إلى ما يثيره هذا القسم من التشوق والتطلع إلى معرفة ما سيأتي بعده فإذا ما أتى بعده تمكن في النفس فضل تمكن لأنَّه جاء والنفس متطلعة متلهفة فصادف نفسًا يقظة فاطمأن وهدأ.

ثم يأتي المقسم عليه في البيان النبوي، وهو عدم ذهاب الدنيا وفنائها حتى يمر الرجل على قبر صاحبه فيتمنى أن يكون مكانه.

وفي إسناد الفعل المنفي "لا تذهب" إلى " الدنيا" ما يشعر بتكالب الناس على حطامها وملذاتها، فما سميت دنيا إلَّا للدلالة على حقارتها ودنوها، فهم يكرهون من يذكرهم بما بعد الموت ولا يعملون لما بعده، بل يصل بهم الأمر أن يكرهوا من يذكرهم بتعاليم الشرع، فما يكون منهم إلا اضطهاده.

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء .

(٢) بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، الدكتورة أميمة بدر الدين مجلة جامعة دمشق، مج ٢٦،٣٤، ٢٠١٠ص ٥٦

وعبر بحرف الغاية "حتى" للإشارة إلى أنَّ هذه الفتن تشتد وتصعب وتطول أمدًا بعيدًا حتى يصل بالرجل أن يتمنى الموت لما أصابه من الهموم والبلاء والمصائب بل ويفضله على الحياة التي زهدها، ولم يعد يطلبها.

وليستحضر صورة الرجل الذي يتمنى الموت عبَّر عنه بصيغة المضارع "يمر" الدالة على استحضار الصورة التي تغيب عن الأعين، وكأنَّها حاضرة ماثلة أمام العيان، وعاون على فهم المعنى لفظ "يمر "الذي يؤدي إلى الحركة والسير، وكرر هذا الفعل مرة تلو الأخرى فلن يكتفي بأن يمر على القبر مرة واحدة بل يتكرر منه الفعل لدلالة الفعل على معنى التجدد والاستمرار.

و" أل " في "الرجل" للجنس ليشمل جنس الرجال فكل من ضاقت عليه الدنيا وتكالبت عليه المصائب يتمنى أن يموت، وذكر الرجل " دون " المرأة " لأنه الغالب "لما كان الغالب أنَّ الرجال هم المبتلون بالشدائد والنساء محجوبات لا يصلين نار الفتنة خصهم"(١)

وعطفت جملة " فيتمرغ عليه" بالفاء على جملة" يمر الرجل على القبر" لما أفادته الفاء من التعقيب فلا تترك مهلة بين المرور والتمرغ على القبر فحين يصل إلى القبر يكون منه فعل التمرغ، والتعبير بلفظ "التمرغ" يشعر بمعاناته وما يقاسيه من الألم والحزن، من كثرة همومه وغمومه في أمر دينه فالبلاء يكثر في الدين ويقل الدواء، فهو يتقلب على جميع الجهات، فالفعل بمبناه ومعناه يصور حركة الرجل وعدم الراحة النفسية وما يتبع ذلك من قلق واضطراب، وما يترتب على ذلك من عدم اللحاق والسرعة في القيام.

والكناية في الفعل" يتمرغ" الدالة على حسد الشخص داخل قبره، تشعر بأنَّه يتمنى الموت لما أصابه من عناء ومشقة، فيتمنى أن يدخل القبر بدلًا من المقبور حتى يتوارى مما لحقه من شدة وابتلاء، فالتمرغ ليس من عادته، وإنَّما حمله ذلك شدة الرزايا والمصائب والمحن، فتمني الموت ليس مستحبًا، ولكن الموت الذي هو أعظم المصائب يكون أيسر عليه وأهون مما ابتلي به، فالقرآن الكريم حين عَّبر عن الموت جعله مصيبة في قوله: " ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ ". وهذه الغبطة ناتجة عن ذهاب الدين وغلبة الباطل وظهور الفتن

(١) فتح الباري ج ١٣ ص ٧٥

والمعاصي، وما يفعل ذلك هم أهل الخير فيندم على ما حدث أمَّا أهل الباطل فقد يكون تمرغه لما حدث لأهله من المصيبة أو فقد أشياء تتعلق بدنياه.

" ولأن الإنسان قد يتمنى الموت من غير استحضار لهيئته وصورته، فإذا استحضره وتصوره، وشاهد الموتى ورأى القبور نفر من هذا الأمر، وأحب الحياة، ولم يعد يتمنى الموت، ولما كان الرجل مستمرًا على تمني الموت مع ذلك، دل على تأكد هذا الأمر، وقوي عنده، إذا لم يصرفه عنه ما شاهد من وحشة القبور والتمرغ على القبر وذلك يدل على تأكد تمنيه.(١)

والتعبير بالأفعال المضارعة " تذهب، يمر، يتمرغ، يقول" تشعر باستحضار الصورة ماثلة أمام الأعين.

والتعبير بقوله:" يا ليتني كنت مكانه" يوحي بالتحسر والندم، فهو يتمنى شيئًا مكروهًا لدى النفس البشرية، التي جبلت على حب الحياة والبقاء فيها ما يشاء أن يبقى، فكونها تتمنى الموت مما يثير الدهشة والتعجب ،ولكن من شدة ما وصل إليه من فساد الحال، وضعف في الدين يتمنى أن يكون مكان هذا الميت فعبَّر بأداة النداء " يا " التي للبعيد" وأداة التمني " ليت" والفعل الماضي المتصل بضمير الفاعل في قوله: "كنت" و بـ "ليت" التي تفيد تمني شيء محبوب إلى النفس ولكنَّه إمَّا مستحيل الوقوع أو بعيد المنال، لإبراز هذا الشيء الممكن الوقوع في صورة المستحيل الوقوع، ولذا عقب الكلام بقوله: " ليس به الدين إلا البلاء" وكأن هذا إشارة إلى أنَّ كثرة الفتن والمشقات والأنكاد قد أذهبت الدين من أكثر الناس، أو قللت الاعتناء به، من الذي يتمسك بالدين عن هجوم الفتن، ولذلك عظم قدر العبادة في حالة الفتن حتى قال -صلى الله عليه وسلم - العبادة في الهرج كهجرة إلي"(٢)

وعبَّر بـ "البلاء" وذلك لـ " أن البلاء يكون ضررًا ويكون نفعًا وإذا أردت النفع قلت أبليته وفي القرآن " وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا " ومن الضر بلوته،

(١) طرح التثريب في شرح التقريب زين الدين العراقي ، ج٣ ص ٢٦١، الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة منها: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.د.ت.

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ج٧ ص ٢٤٥

وأصله أن تختبره بالمكروه وتستخرج ما عنده من الصبر به ويكون ذلك ابتداء."(١)

وقوله: " وليس به الدين إلا البلاء" تمني الموت تلميحًا وتصريحًا، وأنَّه ينحصر فيما نزل بهم من بلايا ومصائب، الَّا يتعدى ذلك إلى الخوف على الدين، سالكًا في التعبير عن ذلك مسلك القصر الإضافي لغرض القلب، بطريق النفي والاستثناء للإشارة إلى " أن الفتن والمشقة البالغة ستقع حتى يخف الدين، ويقل الاعتناء بأمره، ولا يبقى لأحد اعتناء إلَّا بأمر دنياه ومعاشه ونفسه(٢)"

ويتضح القصر الإضافي في قوله: " وليس به الدين إلا البلاء" فقد قصر البلاء على الدين قصرًا إضافيًا وذلك لمن اعتقد أنَّ البلاء يكون متمثلًا في مصائب الدنيا فقط فقلب عليه اعتقاده، وأنَّ ما يحدث يكون بسبب الدين لا غير وهذا القصر طريقه النفي والاستثناء ولا يكون هذا الأمر إلَّا فيما ينكره المخاطب ويجهله ويشك فيه.

(١) الفروق اللغوية ص ١٠٥
(٢) فتح الباري ج١٣ ص ٧٥

المبحث الثاني

من بلاغة الأساليب الخبرية في أحاديث علامات الساعة في البيان النبوي وأثرها على التركيب

ويشتمل على:

أولاً: من بلاغة التعبير في البيان النبوي عن علامات الساعة في الأحاديث المبنية على الخبر المثبت.

ثانياً : من بلاغة التعبير في البيان النبوي عن علامات الساعة في الأحاديث المبنية على الخبر المنفي.

****

أولاً: من بلاغة التعبير في البيان النبوي عن علامات الساعة في الأحاديث المبنية على الخبر المثبت.

الحديث الأول

ونمط آخر من التعبير النبوي البليغ يمزج بين الجمل الخبرية القصيرة المثبتة وبين الإنشاء المتمثل في السؤال والجواب يتجلى هذا النمط في حديثه- صلى الله عليه وسلم- الذي روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **"يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصُ العَمَلُ، وَيُلْقَى الشُّحُّ، وَتَظْهَرُ الفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الهَرْجُ**(١)» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّمَ هُوَ؟ قَالَ: «**القَتْلُ القَتْلُ**"

فهذه الأمور جميعا تقارب الزمان وسرعة الأيام، ونقص الأعمال، وحالة البطالة التي تشهدها الأمم وشيوع الشح وكثرة الفتن خصوصا القتل تعد مثالًا صادقًا على نبوته، قديمًا أو حديثًا، لإخباره بما كان غيبا في زمانه.

وأول ملمح بلاغي في هذا المتن الشريف قوله صلى الله عليه وسلم:

"يتقارب الزمان" كناية عن قرب قيام الساعة، ونزع البركة من كل شيء، وقرب الأيام والسنين وانقضائها.

وقد شاع هذا الأسلوب البياني (الكناية) في حديثه صلى الله عليه وسلم عن علامات الساعة ليكون دليلا على تحقق وقوع يوم القيامة.

وآثر -عليه السلام-التعبير بـ " الزمان" دون " الوقت" وذلك " لأنَّ الزمان أوقات متوالية مختلفة، أو غير مختلفة، فالوقت واحد وهو المقدار بالحركة الواحدة من حركات الفلك وهو يجري من الزمان مجرى الجزء من الجسم والشاهد أيضا أنه يقال زمان قصير وزمان طويل ولا يقال وقت قصير".(١)

وآثر التعبير بـ " العمل " دون " الفعل" لأنَّ العمل إيجاد الأثر في الشيء يقال فلان يعمل الطين خزفًا ويعمل الخوص زنبيلًا والأديم سقاء، ولا يقال يفعل ذلك لأنَّ فعل ذلك الشيء هو إيجاده وقد قال الله تعالى:" **وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** " الصافات: ٩٦، أي خلقكم وخلق ما تؤثرون فيه بنحتكم إياه أو صوغكم له"(٢)

وفي التعبير بقوله:" وينقص العمل" كناية عن التقصير في العبادات ونقصان الخير، وقلة المطعم.

وقوله:" ينقص العمل" نقص العمل الحسي ينشأ عن نقص الدين ضرورة وأمَّا المعنوي فسببه ما يدخل من الخلل بسبب سوء المطعم وقلة المساعد على العمل، والنفس ميالة إلى الراحة.(٣)

وقوله:" ويلقى الشح " كناية عن انتشار الشح وغلبته حتى يصير له الغلبة ويسيطر على قلوبهم، فيكون نتيجة لحرص الأغنياء على المال وعدم الإنفاق من أموالهم، والتكالب على الدنيا وحطامها، وقد يكون المراد بالشح هنا الشح المعنوي، وهو أن يبخل العالم بعلمه، فيحتفظ بعلمه لنفسه ولا يعلمه للآخرين، ومتى بخل الأغنياء عن أداء صدقة أموالهم للفقراء نتيجة عدم فهمهم بأمور دينهم أو بخلهم بما في أيديهم فلذلك كثر القتل والحرص على المال.

---

(١) الفروق اللغوية ص ٢٦٨

(٢) الفروق اللغوية ص ٣٧٧.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ج٢٤ ص ١٨٢ ،دار إحياء التراث العربي – بيروت.

وبناء الفعل للمجهول في قوله:" ويلقى" للعلم بالفاعل، وليشعر بأنَّ الشح قد ملأ القلب فلا يستطيع الانفكاك عنه، وفيه كذلك " تأدية وظيفتين في آن واحد؛ وظيفة تعبيرية، ووظيفة فنية جمالية، وفي هذه وتلك دليل ساطع على حيوية اللغة وثرائها.(١)

وفي قوله:" يُلقَى الشح" استعارة حيث، شبه الشح بشيء يلقى، وحذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا التصوير يشعر بأنَّ الشح قد أشربته القلوب فصارت النفس أشد حرصًا على المال فلا ينفق منه شيء مما يؤدي به إلى الهلاك والدمار.

وقوله: "وتظهر الفتن" كناية عن انتشارها وكثرة المعاصي والآثام، فظهور الفتن تضر الناس في دينهم ودنياهم، إلَّا من عمل لآخرته فلن يضره الله أبدًا، وعاون على فهم المعنى جمع الفتن، وأنَّها لم تكن فتنة واحدة بل ستكون فتنا كثيرة.

وتعريف الفتن بـ " أل" للجنس لتشمل جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ووصل بين قوله:" وتظهر الفتن" وقوله:" ويلقى الشح" لما بينهما من التوسط بين الكمالين، لوجود المناسبة بين الجملتين، وعدم وجود مانع من الوصل، فكل هذه الأمور بينها من التناسب والتجانس ما سوغ الوصل.

والتعبير بقوله:" ويكثر الهرج" كناية عن كثرة القتل نتيجة هوى النفس وإشباع رغباتها الدنيئة التي تؤدي بها إلى الهلاك والخراب والدمار، فيتقاتل الناس فيما بينهم ولا يدري القاتل لما قتل ولا المقتول فيم قتل، وقد وقع ذلك في زماننا فنرى كل يوم قتل هنا وقتل هناك وكان لغياب الوازع الديني أثره في ذلك.

وقوله:" " الهرج" مجاز مرسل علاقته السببية من باب إطلاق السبب على المسبب، فقد أطلق السبب وأريد المسبب، فالهرج سبب القتل، وسمي القتل بالهرج؛ لأنَّه يكون عن اختلاط.

وآثر المصطفى -عليه السلام -التعبير بالفعل المضارع في قوله:" يتقارب، وينقص، ويلقى، ويكثر" ليضفي على الكلام معنى التجدد والاستمرار؛ لأنَّ

(١) الفعل المبني للمجهول لعبد الفتاح محمد، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٢ العدد ١ و٢ عام ٢٠٠٦ ص ١٩.

الفعل المضارع يدل على حدوث الفعل، وتجدده فيجعل القارئ أو المتلقي يستحضر الصورة ومعها الحركة.

وبين هذه الجمل تفويف، لما بينهما من التناسب بحرف العطف الواو مما جعل المناسبة بين الجمل قوية قد استدعت الوصل" فالتناسب بين المعطوف والمعطوف عليه من الأمور الضرورية، وذلك لتمام الملاءمة بينهما، فيكونان نظيرين أو شريكين أو غير ذلك من أنواع المناسبة التي تجمع بينهما.(١)

ويأتي الاستئناف البياني في قوله:" قالوا" وكأن سائلًا سأل فماذا قالوا؟ فكانت الإجابة عن السؤال قالوا يا رسول الله وما الهرج، قال القتل.

ثم يأتي التفصيل بعد الإجمال عن طريق السؤال الصريح من الصحابة رضوان الله عليهم " أيم هو" فتولد عن هذا السؤال الذي أثير بتفسير معنى الهرج الذي أراد الصحابة الاستفسار عنه فتصير النفس متشوقة متطلعة إلى معرفة الجواب، فإذا ما جاء الجواب جاء والنفس متطلعة متشوقة فتمكن في النفس فضل تمكن، فكان في تكرار القتل ما يشعر بتأكيده وتقريره وتثبيته، وأنَّه سيكثر في هذا الزمان وكأنَّه بهذا التكرار يحذر من القتل الذي يقع آخر الزمان وفيه استمالة للمخاطبين ومبالغة منه عليه الصلاة والسلام لتأكيد الخبر وتوضيحه وكأنَّه يلقي الخبر للسامعين بتكراره مرتين.

الحديث الثاني

ومن أحاديثه صلى الله عليه وسلم التي تعتمد في بنائها على تضافر كل من الجمل الخبرية الفعلية الماضوية المثبتة التي تدل على تحقق الوقوع ، مع التكرار الذي يزيد الكلام تأكيدا وتوثيقًا ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا،**

(١) من أسرار التعبير في القرآن حروف القرآن، أ. د عبد الفتاح لاشين، ص٧٧، دار عكاظ للنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٨٣م

وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ» شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ".(١)

افتتح الحديث بفعل ماض في قوله:" منعت" لتحقق الوقوع، مع تكراره.

وذكر " العراق والشام ومصر" بأسمائها للدلالة على أنَّ هذه البلدان سيحل بها الخراب والدمار، وهي بلدان عربية، وقد بدأ -عليه السلام-بالعراق ثم ثنى بالشام ثم ثلث بمصر، وكأنَّه يشير إلى أنَّ العراق ستكون أول ما يفقد ثرواتها وما يقتاتون به ويدل على ذلك دلالة واضحة التعبير بمنع الدرهم والقفيز.

وعبَّر بـ " المد والدينار" مع منع أهل الشام، للإشارة إلى أنَّ أهل الشام كذلك سيحل بهم الخراب والدمار، وأنَّ البلوى والفقر ستعم هذه البلدان التي عاشت حضارتها وتقدمها بانعدام هذه الثروات. ثم ذكر مصر وأخبر -صلى الله عليه وسلم -أنَّها ستمنع إردبها ودينارها وكأنَّها هي الأخرى سيعم بها الخراب والدمار، وكأنَّه يشير إلى أنَّ البلاء واقع بسبب ذهاب الدين، وتغلب الأهواء، وافتراق انشغالهم بها عن حماية أراضيهم وإصلاحها ورعايتها، فقد خاطب -عليه السلام-كل بلدة من هذه البلدان بما يستعملونه من مكيال أو نقود.

وقدم " الدرهم" على " القفيز" لأهمية الدرهم على المكيال أمَّا في تقديم "المد والإردب" على "الدينار" لأهمية الحبوب بالنسبة لهذه البلدان.

"وتسمية النبي -صلى الله عليه وسلم-مكيال كل قوم باسمه المعروف عندهم دليل على أنَّه كان يعرف كلام الناس، وإن بعدت أقطارهم واختلفت عباراتهم. وقد ثبت أنَّه كان يخاطب كل قوم بلغتهم في غير موضع، وهذا منه إخبار بأنَّ أمور الدين وقواعده يترك العمل بها لضعف القائم بها، أو لكثرة الفتن واشتغال الناس بها، وتفاقم أمر المسلمين، فلا يكون من يأخذ الزكاة ولا الجزية ممن وجبت عليه، فيمتنع من وجب عليه حق من أدائه.

ووصل بين الجمل الثلاث لما بينهما من التوسط بين الكمالين، فالجمل كلها متناسبة، ولم يمنع من العطف مانع، واتفقت الجمل كذلك في الخبرية لفظًا ومعنى، ووجدت المناسبة بين هذه الجمل.

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، رقم ٢٨٩٦.

وفي الحديث عن مشاهد القيامة، والمشاهد التي تحدث في المستقبل عبَّر عنها المصطفى بصيغة الماضي، مما يدل على صدق نبوته ونحن نشاهد ونحس بما حدث لأهل العراق، وأهل الشام، وكذلك لأهل مصر في هذه الآونة الأخيرة، وما ينطق عن الهوى.

وفي تكرار الفعل " منعت " مع كل جملة من الجمل للدلالة على تأكيد المنع وتقريره وتثبيته إلى جانب ما يثيره تكرار الفعل من تقوية الفكرة لدى المخاطب، فأراد -عليه السلام-من خلال هذا التكرار أن يثير الانفعال والعاطفة لدى المخاطب حتى يفكر في عاقبة الأمور كيف تكون وما الأثر المترتب على ذلك، فالتناسق بين الجمل يجعل الكلام متلاحمًا ومترابطًا ترابطًا قويًا بحيث لو أوردت كل جملة على حدة لاستقلت بمعناها.

وقوله: (وعدتم من حيث بدأتم) أي: رجعتم على الحالة الأولى التي كنتم عليها من افتراق الكلمة، وفساد الأمر، وغلبة الأهواء، وفناء الدنيا وذهابها.

وقد عقب -عليه السلام -الحديث بقوله: "وعدتم من حيث بدأتم" وهو تذييل جرى مجرى المثل، ليؤكد من خلال هذا التعقيب بأنَّ الإسلام سيعود غريبًا كما بدأ غريبًا، أو ليشير بأنَّهم سيعودون إلى ما كانوا عليه من الفقر وانعدام الثروات، وعدم امتلاك ما كانوا يمتلكون من قبل.

والطباق بين قوله: "عدتم" و" بدأتهم" أكد المعنى وقرره، وقد كرر -صلى الله عليه وسلم -قوله: " عدتم من حيث بدأتم" ثلاث مرات لما يشعر به هذا التكرار من التأكيد والتقرير والتثبيت، وليحذر المخاطب بتجنب الفتن والوقوع فيها والعمل لما بعد الموت فهو الحياة الباقية، فالطباق لما فيه من جمال معنوي جذب انتباه المتلقي وأثار وجدانه فبضدها تتميز الأشياء، فقد ازداد المعنى وضوحًا، ومما عاون على فهم المعنى التعبير بالأفعال الماضية" عدتم، بدأتم" مما زاد المعنى تحققًا وتأكيدا.

وعبَّر بالمنع" دون " الخراب" لأنَّ المنع مسبب عن الخراب فعبَّر عن الخراب بالمنع الناتج عن الحرمان من الخير، ونفاد الثروات التي كانت عامرة بالخير الوفير، عن طريق المجاز المرسل وعلاقته المسببية " فالمجاز المرسل لما له من تأكيد المعنى المجازي المراد، وتقريره في النفوس لما فيه من دعوى الشيء

بالبينة والبرهان، تصوير للمعنى المجازي المراد خير تصوير وأدقه، وتأدية للمعنى المجازي المراد بألفاظ أقل مما تؤديه الحقيقة(١)

أما إذا عبَّر بـ "الخراب" بدلًا من "المنع" فلا يفيد ما أفاده التعبير بالمنع، لأنَّ المنع يكون بعد العطاء.

وآثر المصطفى –عليه السلام -التعبير بقوله: "عدتم" بدأتم" الذي يشعر بأنَّ المسلمين في هذه البلدان سيعودون إلى ما كانوا عليه من انعدام الثروات والخيرات وما هم فيه من النعيم، فيصير كل ذلك إلى زوال وأنَّ المسلمين في هذه البلدان سيعودون إلى ما كانوا عليه من الفقر والشح وعند ذلك سيتقاتل أهلها، كما كان يحدث من قبل، وفي إعادة الكلام ثلاثا "قال الخطابي: إعادة الكلام ثلاثًا إمَّا لأنَّ من الحاضرين من يقصر فهمه عن وعيه فيكرره ليفهم، وإمَّا أن يكون القول فيه بعض الإشكال فيتظاهر بالبيان. وقال أبو الزناد: أو أراد الإبلاغ في التعليم والزجر في الموعظة"(٢).

وفي ذكر العراق ثم الشام ثم مصر على هذا الترتيب، ما يشعر بأنَّ الخراب والدمار سيحل بهذه البلدان على الترتيب الواقع في الحديث.

وفي تكرار الكلام ثلاث مرات ما يشعر بالتوكيد وبث الفكرة في النفوس، فالتكرار بالجملة وإعادتها بشكل متتابع، وذلك لشدة حضورها في الذهن، وفيه لفت لانتباه المتلقي، وإلى ما يحمله من دلالات عميقة في النفوس "والتوكيد من أهم عوامل بث الفكرة في نفوس الجماعات، وإقرارها في قلوبهم ، وقيمة التوكيد بدوام تكراره بالألفاظ عينها ما أمكن ذلك، فإذا تكرر الشيء رسخ في الأذهان رسوخا تنتهي بقبوله حقيقة ناصعة، وللتكرار تأثير في عقول المستنيرين، وتأثيره أكبر في عقول الجماعات من باب أولى، والسبب في ذلك كون المكرر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية، التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان، فإذا انقضى شطر من الزمن نسي الواحد منا صاحب التكرار، وانتهى بتصديق المكرر"(٣)

---

(١) البيان في ضوء أساليب القرآن أ. د عبد الفتاح لاشين، ص ١٥٧، دار الفكر العربي ١٩٧٧م ،

(٢) عمدة القاري ج٢ ص ١١٥

و(قوله: شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه) أي: صدق بهذا الحديث وشهد بصدقه كل جزء في أبي هريرة. وهذا الحديث حق في نفسه، ولا بد من وقوعه، والتعبير بهذا القول يشعر بأنَّ هذا القول صادر منه عليه السلام، فالحديث يعد بيانًا ناطقًا بصدق نبوته بالأمور التي ستقع في المستقبل.

الحديث الثالث

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التي اعتمدت الجمل الخبرية المرسلة بناءً لها لبيان علامة من علامات الساعة إشارة إلى أن تلك العلامة من الحقائق التي لا ينكرها أحد ما ورد عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : «**يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ**(١) **مِنَ الْحَبَشَةِ**»(٢)

وليستحضر الصورة وكأنَّها مشاهدة أمام العيان عبَّر بالفعل المضارع " يخرب" وليشعر كذلك بأنَّ التخريب واقع لا محالة، وفي تشديد الفعل ما يدل على تكرير الفعل، وأنَّه يخربها مرة تلو مرة عن حقد وغل وغيظ.

وتخريب الكعبة "يكون بهدمها، ويقلعها حجرًا حجرًا، ولا تعاد أبدًا لأنَّ هدمها إنَّما يكون بعد رفع القرآن، ورفع كلمة الجلال"(٣).

وخص "الكعبة" بالذكر لما لها من المهابة والإجلال والتقديس في نفوس المسلمين، وذهاب المسلمين إليها لإقامة الشعائر فلما لها من هذا كله يخربها ذو السويقتين، وما يخربها إلَّا بعد ذهاب الأمن، وخور وضعف المسلمين في ذلك الوقت وتهاونهم في أعظم بيت من بيوت الله، وعدم القدرة على الدفاع عن هذا البيت الحرام، وهذا إن دل يدل على ما وصل إليه حال المسلمين من الهوان، وفي هذا ما لا يخفى من الكناية.

وتقديم المفعول" الكعبة" على الفاعل " ذو السويقتين" اهتمامًا بها وبشأنها فهي قبلة المسلمين جميعا في مشارق الأرض ومغاربها، وتخريبها ضياع للدين وضعف للمسلمين ، ونذير بقرب النهاية ، وفيه تحقير لشأن الفاعل المؤخر .

---

(١) هُمَا تَصْغِيرُ السَّاقِ وهي مؤنثة فذلك ظَهَرَتِ التَّاءُ فِي تَصْغِيرِهَا، وَإِنَّمَا صَغَّر السَّاقَيْنِ لأَن الْغَالِبَ عَلَى سُوق الْحَبَشَةِ الدقَّة والحُموشة. لسان العرب ج١٠ ص ٢١٩

(٢) صحيح مسلم ٢٢٣٢الرقم ٢٩٠٩

(٣) الكوكب الوهاج ج٢ ص ١٦٤

وفي إضافة" ذو" إلى " السويقتين" ما يشعر بالاختصار وكذلك إفادة معنى التحقير والذم فإذا من هُدم بيت الله على يد مثل هذا الحقير الذميم، فالمسلمون حينئذ بهم من الخور والضعف ما يكفي.

"والسويقة" تصغير الساق وهي مؤنثة، فلذلك ظهرت التاء في تصغيرها ،وإنَّما صغر الساقين؛ لأنَّ الغالب على سوق الحبشة الدقة، أي يخربها رجل من الحبشة له ساقان دقيقتان، فذو السويقتين كناية عن موصوف يتسم بالحقارة ودنو الشأن.

و(من) في قوله: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " من الحبشة " بيانية أي أن هذا الرجل من الحبشة المعروفة ،وهم جنس من السودان، وعاون على ذلك تعريف الحبشة بأل الجنسية ،أو تكون "من" تبعيضية " أي يخرب الكعبة رجل ضعيف من الحبشة، " ولا ينافي ما ذكر هنا قوله تعالى: " **أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ** " (العنكبوت: ٦٧) لأنَّ الأمن إلى قريب القيامة وخراب الدنيا حينئذ فيأتي ذو السويقتين."(١)

ونلحظ على الأحاديث التي مرت أنها تنبني على الجمل الخبرية الفعلية المضارعية أو الماضوية المثبتة، ولعل السر في ورودها على هذا النحو الدلالة على يقينية محتواها وأنه مما لا يتطرق إليه شك، كما أفادت ماضوية بعضها الدلالة على تحقق الوقوع، بينما أفادت المضارعية إشراك المخاطب في الحدث باستحضاره أمامه حتى يتهيأ له ويعمل بمقتضى علمه، وذلك لما للمضارع من دلالة على التجدد والاستمرار بمعونة القرائن.

ومعلوم ما في الأسلوب الخبري من الرقة والتلطف، حيث يبعد عن شدة أسلوب الإنشاء الطلبي الذي من الممكن أن تَزْوَرَّ عنه النفوس لصراحته ومباشرته.

وذلك سمت البيان النبوي الشريف المصنف بكونه خطاباً تعليمياً، ولكنه خطاب بلغ الغاية في البلاغة والتأثير في النفوس، فخالف ما يُشاع عن الخطابات التعليمية من تدني المستوى الفني.

---

(١) شرح القسطلاني ج٣ ص ١٥٦. ٣٤٠٥

ثانياً: من بلاغة التعبير في البيان النبوي عن علامات الساعة في الأحاديث المبنية على الخبر المنفي.

الحديث الأول

وهذا نمط آخر من التعبير النبوي الشريف وهو المعتمد على الأخبار المنفية ومن ذلك ما روى مسلم عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ،(١) أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ**(٢) **يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ" وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ عَشَرَةً،** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: "**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**"(٣)

وفي رواية عن زَيْنَب بِنْت جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَزِعًا مُحْمَرًّا وَجْهُهُ، يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ**» وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ، وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**»(٤)

تزيد هذه الرواية عن سابقتها بيان حال النبي في عبارة فزعاً محمراً وجهه ، وبيان هذه الحال يدل دلالة قاطعة على خطورة ما بعده وأنه قد وجب الاستعداد ليوم الرحيل.

ثم استهل حديثه -صلى الله عليه وسلم – بأسلوب خبري منفي فيه من التشويق والإثارة وجذب انتباه المتلقي ما لا يخفى ، وكأنَّ هناك حدثًا عظيمًا يحدث فعلى السامع والمتلقي الانتباه والإنصات إلى ما سيأتي بعده، مستخدمًا أسلوب القصر، وطريقه النفي والاستثناء في قوله:" لا إله إلا الله" أي لا معبود بحق إلا الله، قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا أي نفي الألوهية عن غير الله وإثباتها له سبحانه،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج، رقم ٢٨٨٠، .

(٢) رَدَمَ) الرَّاءُ وَالدَّالُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى سَدِّ ثُلْمَةٍ. يُقَالُ رَدَمْتُ الْبَابَ وَالثُّلْمَةُ، مقاييس اللغة لابن فارس ، الراء والدال والميم.

(٣) صحيح مسلم رقم ٢٨٨٠.

(٤) صحيح مسلم رقم ٢٨٨٠.

وذلك لأنَّ جملة القصر في قوة جملتين إحداهما منفية والأخرى مثبتة، فالمقصور صفة "الألوهية" والمقصور عليه لفظ الجلالة "الله" إذ لا يستحق العبادة في هذا الوجود بحق إلا الحق سبحانه.

ومعلوم أن القصر بالنفي والإثبات لا يكون إلا في الأمر ينكره المخاطب أو يشك فيه، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني: "وأما الخبر بالنفي، والإثبات نحو، ما هذا إلا كذا، وإن هو إلا كذا، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه"(١)

ويقول الدكتور أبو موسى عن هذه الأداة من أدوات القصر: "لا تلقاك هذه الأداة إلا حيث تلقاك النبرة العالية، والنغمة الحاسمة والتعبير الشديد".(٢)

هذا أصله ، وقد يأتي للدلالة على يقينية الحقيقة الواردة في قالبه ، أو شدة يقين المتكلم بما يذكر.

ولعل في الافتتاح به إشارة إلى أن كل شيء مرده إلى الله فمنه المبتدأ وإليه المنتهى، ولا نجاة إلا بالتمسك بتوحيده سبحانه وعدم الإشراك به.

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: " ويل للعرب من شر قد اقترب" فيه من التهويل والتفخيم من الأمر الذي يذكره، وفيه إيقاظ للذهن، وجذب الانتباه لما سيأتي بعد وكأنَّه يشير من طرف خفي إلى الخوف والوجل والعمل لهذه الفتن، فهذه الكلمة (ويل) لا تقال إلا لمن وقع في الشر والهلكة(٣) .

وفي قوله: "ويل للعرب من شر قد اقترب" "المراد بالشر الفتنة التي تعم العرب كلها، وتكون سببًا لذهاب شوكتهم وريحهم، وقد بدأت هذه الفتنة بمقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم طغت في زمن علي -رضي الله عنه-، ثم توالى عليها الخمود والاشتعال حتى بلغت ذروتها في أواخر عهد الأمويين، ولم ينته سفك دماء العرب، ولم تستقر الأوضاع إلَّا وقد خرج الأمر من أيدي العرب إلى غيرهم، وعاد العرب إلى ما كانوا عليه تقريبًا من التشتت والجهل

(١) دلائل الإعجاز ص ٣٣٢.
(٢) دلالات التراكيب د. محمد أبو موسى ص ١٠٥ ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط ٢، ١٩٨٧ م.
(٣) ينظر الكتاب سيبويه ، تحـ عبد السلام هارون،جـ ١ ص ٣٣١، مكتبة الخانجي القاهرة ، طـ ٣، ١٩٨٨م.

والإفلاس وغير ذلك. فهذا هو الشر الذي أخبر النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -عن اقترابه.(١)

وتنكير كلمة (ويل) يفيد التهويل والتفخيم من هول العذاب الذي يقع بهم.
وخص " العرب" بالذكر لأنَّ شرهم راجع إليهم ومنشأ الدين وانتشاره من أرض العرب، فهم أهل دين الإسلام، ولأنَّ الفتنة إذا وقعت كان الهلاك أسرع إليهم.
وتنكير " شر" يشعر بأنَّ هذا الشر سيلحق بهم لا محالة، وللتهويل من هذا الشر وأخذ العبرة والعظة حتى يرجع الناس عما هم عليه، فهذه الفتنة تعم العرب جميعًا، وتكون سببًا لذهاب ملكهم وضياع شوكتهم.
وللدلالة على تحقق هذا الشر، عبَّر بالفعل الماضي المسبوق بـ "قد" التي تفيد تحقق وقوع الفعل في قوله:" قد اقترب" مما يدل على أنَّها واقعة لا محالة، وكل مشاهد القيامة التي وردت في القرآن عبَّر عنها الحق -سبحانه وتعالى-بصيغة الماضي من مثل قوله تعالى:" **أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ** " (النحل آية ١) وقوله: " **وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ**" (الزمر آية ٦٩) إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي وردت عن الساعة.
وتخصيص "اليوم" بالذكر للدلالة على قرب وقوع الفتن والتحذير منها ومن الانغماس في ملذات الدنيا وآثامها .
وقوله:" من ردم يأجوج ومأجوج" التعبير بـ "من" يشير إلى أنَّ الذي فتح جزء قليل، وكأنَّه يشير من طرف خفي أنَّ الساعة قد اقتربت، وخروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى التي تأتي قرب قيام الساعة.
والتعبير بقوله: "مثل هذه" بالإشارة الحسية تشعر بالقرب الشديد حيث لم يعد إلَّا هذا الحيز الضيق.
وعبَّر بـ " الردم" دون "السد" لأنَّ الردم أكثر من السد، لأنَّ الردم ما جعل بعضه على بعض.(٢)

---

(١) منة المنعم شرح صحيح مسلم للمباركافوري، جـ ٤ ص ٣٤٠، دار السلام الرياض السعودية ، ط١، ١٩٩٩ م.
(٢) لسان العرب ج١٢ ص ٢٣٦

قوله: "فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج" يحتمل أن يكون الكلام على الحقيقة على أنَّ سد ذي القرنين كان سالمًا إلى ذلك اليوم، ويحتمل أن يكون محمولًا على المجاز فيكون عن ظهور أمارات الفتن، ويحتمل أن يكون الرسول رأى في المنام ذلك السد بعينه.(١)

وفي التعبير بالعلم " يأجوج ومأجوج" ما يدل على إحضارهما بعينهما في ذهن السامع ابتداء، وللتهويل والتخويف منهما، لأنَّهما يخربان ويفسدان في الأرض ويعيثون فيها فسادًا، وأنَّه قد حان وقت خروجهما بدليل ذلك الفتق الصغير الذي فتح.

"ويأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة ألف رجل لا يموت أحدهم حتى ينظر إلى ألف رجل من صلبه كلهم قد حمل السلاح لا يمرون على شيء إذا خرجوا إلا أكلوه ويأكلون من مات منهم"(٢)

وفي التعبير بـ " قالت زينب الدلالة على أنها فهمت من فتح القدر المذكور من الأمر إن تمادى على ذلك اتسع الخرق بحيث يخرجون فكان عندها علم أن في خروجهم على الناس إهلاكًا عامًّا لهم.(٣)

وقوله:" وعقد سفيان بيده عشرة" فهو اصطلاح للعرب تواضعوا بينهم ليستغنوا به عن التلفظ، وكان أكثر استعمالهم له عند المساومة في البيع، فيضع أحدهما يده في يد الآخر، فيفهمان المراد من غير تلفظ؛ لقصد ستر ذلك عن غيرهما، فمن يحضرهما فشبه – صلى الله عليه وسلم – قدر ما فتح من السد بصفة معروفة عندهم.(٤)

فالإشارة تنوب عن اللفظ وفي ذلك يقول الجاحظ:" والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط ... ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص.(٥)

---

(١) فتح المنعم ج١٣ ص ٢٦
(٢) فتح المنعم ج١٠ ص ٥٠٨
(٣) فتح المنعم ج١٣ ص ٢٦
(٤) البحر المحيط الثجاج في شرح الإمام مسلم بن الحجاج لمحمد بن علي الإيتوبي الولوي، رقم ٢٨٨٠، دار ابن الجوزي –ط١، ١٤٣٦هـ.
(٥) البيان والتبيين للجاحظ، جـ ١ ص ٨٣.

استخدم التعبير النبوي لغة الإشارة باليد للإشارة إلى مقدار ما فتح من هذا السد فقال" مثل هذا " وعقد بإصبعه للتحذير من الوقوع في الفتن، فالمراد بهذه الإشارة التمثيل وليس التحديد، فنراه -عليه السلام-يمثل بالإشارة التي رآها الصحابة فإذا بهؤلاء الرواة عبَّروا عن ذلك باصطلاح الحساب، و"قال بعضهم: وعقد وهيب بيده تسعين، وهذا تقريب في العبارة."(١)

فالتعبير بالإشارة يشعر بالقدر الذي فتح من سد يأجوج ومأجوج بشيء واضح يعرفونه فيما بينهم " مثل ثقب عشرة في العدد وهو يشبه الحلقة بأن يجعل طرف السبابة اليمنى في باطن الإبهام العليا، ولم يقصد -صلى الله عليه وسلم- العدد في بيانه، وإنما أراد أن يوضح صورة معينة خاصة.(٢)

ثم فصل بين" قال "وما قبلها لشبه كمال الاتصال، كما قال الإمام عبد القاهر الجرجاني إن كل ما ورد في القرآن " من لفظِ "قال" مَفصولاً غيرَ معطوف، هذا هو التقديرُ فيه، أعني مثلَ قولِه تعالى: "**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ، فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ، فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ**" الذاريات: (٢٤ -٢٨) جاء على ما يقعُ في أنفسِ المخلوقين منَ السُّؤال. فلما كان في العُرفِ والعادةِ فيما بينَ المخلوقينَ إذا قيل لهم: "دخلَ قوم على فلان فقالوا كذا"، أخرجَ الكلامَ ذلك المُخْرجَ، لأنَ الناسَ خوطبوا بما يتعارفون، وسلك باللفظ معهم المَسْلكُ الذي يَسْلُكُونه"(٣)

" قال ابن العربي: فيه دلالة على أنَّ الخير يهلك بهلاك الشرير إذا لم يغير عليه خبثه، وكذلك إذا غير عليه لكن حيث لا يجدي ذلك، ويصر الشرير على عمله السيء ويفشو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد فيهلك حينئذ القليل والكثير.(٤)

والتعبير بـ " يا" التي للبعيد مع أنَّه قريب منها تنزيلًا للقريب منزلة البعيد لعلو شأنه وارتفاع منزلته، فينزل بعد المنزلة وعلو المكانة منزلة البعد المكاني،

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ج٧ ص ٢٠٨
(٢) فتح الباري بتصرف ج ١٣ ص ١٠٨
(٣) دلائل الإعجاز ص ٢٤٠ وهو عنده الاستئناف البياني .
(٤) فتح المنعم ج١٣ ص ٢٦.

"وهي أكثر أدوات النداء استعمالًا، ولا يقدر عند الحذف سواها، وقد ينادى بها القريب توكيدا"(١)

ثم يأتي الاستفهام بقوله:" أنهلك وفينا الصالحون" للتعجب من شأنهم كيف يهلكون وفيهم الصالحون الذين اتبعوا أوامر الله واجتنبوا ما نهى الله عنه، وهذا قد جعل أمَّنا أمَّ المؤمنين "زينب" تتساءل وتتعجب من الهلاك مع كثرة الصالحين في هذا الزمان، وكأنَّها من دهشتها تقول بأن الهلاك يكون خاصًا بفئة معينة وهي فئة المذنبين، وأن الخبث لا يصدر من هؤلاء وإنَّما يصدر من العصاة فكان الذهول من أن الهلاك والدمار يقع وفيهم القوم الصالحون، وهذا يعد من الأخبار الصادقة التي جاءت بصدق دعوته -عليه السلام.

وتقديم الجار والمجرور" فينا" على قوله: " الصالحون "، يفيد اختصاصهم بأحقية عدم الهلاك لصلاحهم، وفيه دلالة على التعجب من وقوع الهلاك بهم.

والإتيان بـ " الصالحون " جمعًا سالمًا للدلالة على كثرتهم وتعظيمهم، فهي تتعجب من وقوع الهلاك مع كثرة الصالحين.

والتعبير بقوله: " إذا كثر الخبث " كناية عن انتشار الفسق والفجور والمعاصي وأنَّ الهلاك سيعم ويشمل الصالح قبل الطالح، وعاون على فهم المعنى تعريف الخبث بـ "أل" الجنسية أي جنس الخبث.

وعبَّر بـ " نعم" دون" بلى" وذلك لأنَّ "نعم" لا تكون للاستفهام بلا جحد كقوله تعالى:" **فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ** " (الأعراف آية ٤٤) وكذلك جواب الخبر إذا قال قد فعلت ذلك قلت نعم لعمري قد فعلته، وقال الفراء وإنَّما امتنعوا أن يقولوا في جواب الجحود نعم لأنه إذا قال الرجل مالك علي شيء فلو قال الآخر نعم كان صدقه كأنه قال نعم ليس لي عليك شيء وإذا قال بلى فإنما هو رد لكلام صاحبه أي بلى لي عليك شيء فلذلك اختلف بلى ونعم(٢)

والتعبير بـ "إذا" الشرطية والفعل الماضي في قوله:" إذا كثر" ما يدل على تحقق الوقوع، فإذا كثرت الفواحش وانتشرت وقع الهلاك والدمار والخراب

(١) مغني اللبيب لابن هشام ، تحـ د. مازن المبارك ، ج٢ ص ٩٢٩، دار الفكر – دمشق، ط ٦، ١٩٨٥..

(٢) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحـ الشيخ بيت الله بيات، ص ١٠٦ مؤسسة، النشر الإسلامي ط١،، ١٤١٢هـ.

وجواب الشرط محذوف لدلالة الكلام عليه والتقدير: إذا كثر الخبث يقع الهلاك، ولكنَّه ترك الجواب لتشويق السامع إلى معرفة الجواب ولتذهب النفس في تفسيره كل مذهب.

والتعبير بـ " إذا" يؤكد حصول ما بعدها كما أنَّ فيها معنى الفجائية، وجواب الشرط محذوف والتقدير: إذا كثر الخبث تهلكون، وبلاغة أسلوب الشرط تأتي من الترابط والتلازم في ربط الجمل بعضها ببعض.

وهذه الأداة من الأدوات التي شاع توظيفها في حديثه صلى الله عليه وسلم عن الفتن وأشراط الساعة، ولعل السر وراء شيوعها دلالتها على الأمر المقطوع به فما أخبر به النبي واقع لا محالة.

الحديث الثاني

ومن الأحاديث التي ذكرت علامة مهمة من علامات قرب الساعة واتسمت بالبلاغة العالية وبإيثار صيغة معينة شاعت وتكررت كثيرا في كلامه صلى الله عليه وسلم ، وهي صيغة الخبر المنفي ، حيث يفتتح الكلام بنفي قيام الساعة ، ثم يعلق هذا القيام على وقوع حدث ما بتوظيف (حتى) الدالة على الغاية ومن ذلك ما ورد في قوله-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ**(١) **فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ**»(٢)

ومعنى هذا الحديث أنَّ ثمة طائفتين ستقتتلان قبل القيامة، ويكون بين هاتين الطائفتين أعداد كبيرة من القتلى، ويحتمل أن يكون ما وقع بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما، فالفئتان دعواهما واحدة، ودينهما واحد، وهو الإسلام، وكل فئة ترى أنَّها على الحق والأخرى على الباطل.

والإتيان بحرف النفي" لا" دون " لن" أو " لم" فـ"لا" ينفى بها المستقبل والحال و" لن" تأتي لنفي المستقبل و" لم" لنفي الماضي، فحرف "لا" أشمل في النفي من حرف " لن" و "لم" وتأمل حرف "لا" كيف تجدها "لا" بعدها

(١) (قَتَلَ) الْقَافُ وَالتَّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِذْلَالٍ وَإِمَاتَةٍ، مقاييس اللغة القاف والتاء واللام ج٥ ص ٥٦

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، رقم ١٥٧، ج ٤ص ٢٢١٤

ألف يمتد بها الصوت ما لم يقطعه ضيق النفس، فآذن امتداد لفظها بامتداد معناها، ولن يعكس ذلك"(١)

في هذا البيان النبوي جاء التعبير بالأسلوب الخبري إعلامًا وهديًا لجهل السامع بما يحمل المستقبل، طبقًا لمقتضيات السياق وموارد الموقف الذي تشبع به الحدث ونال منه مبلغًا في التخيل لصورة الفتنة والعاقبة، وما يتعامد مع الجهل في تقييم الحدث، أو التعليق عليه، أو ما ينشأ من ردة الفعل في أمور الساعة سلبًا أو إيجابًا، فهناك من يسمع فيفهم المراد ويتخذ موقفًا إيجابيًا، وثمة من يسمع ويفهم لكنَّه يتمادى في الطغيان، لذلك لم يؤكد باعتبار الصورة الخبرية الموجهة لمن يجهل الحدث، ولا يشك فيه أو ينكره، فالرسول -عليه السلام- يخاطب قومًا لا يدرون عما يكون من الأمور الغيبية التي تدل على صدق دعوته.

وفي قوله: "لا تقوم الساعة" تعبير يحمل قطعا وجزماً ، إذ نفي قيام الساعة مستقبلًا كما يفيد الفعل المضارع المتصل بـ "لا" التي تفيد نفي الحال حتى تحدث هذه الأمور المتحدث عنها، ففيه دلالة على تحقق وقوع ذلك لأنَّ هذا من علامات قرب قيام الساعة، والمراد من هذا الأسلوب الخبري الجازم النفي ،حث وتنبيه المسلمين والمؤمنين إلى أن يأخذوا حذرهم حتى لا يكونوا ممن تدركهم الساعة وهم غافلون.

ومن دقة التعبير النبوي أن عبَّر عن وقوع الساعة بلفظ تقوم دون تقع أو تحدث ، وذلك لأن قيامها يدل على حلول وقت تمام الحساب والمجازاة ، فكأن القيامة بمعنى كونها يوما للحساب حاضرة في الدنيا غير غائبة ، يشهد على ذلك ما نراه من تعجيل المجازاة بالخير أو بالشر ، فاصطفاؤه للفظ تقوم للدلالة على أنها موجودة وحاضرة ولكن انتصابها وعزمها(٢) وتهيؤها لإتمام أمرها لا يتم إلا في اليوم الذي قدره الله عز وجل .

---

(١) بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، ج١ ص ٩٥، ٩٦، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.

(٢) مقاييس اللغة قوم حيث جعله أصلا بمعنى الانتصاب والعزم.

ومن دقيق التعبير النبوي أيضاً إيراده لحرف "حتى" للربط بين الغاية(قيام الساعة) ومقدماتها اقتتال الفئتين)، وذلك لدلالته على التماسك بين الجملتين فإحداهما تؤدي إلى الأخرى.

فإن كانت حتى تفيد عدة معان : التعليل والغاية والاستثناء(١) ، وهو قليل ، وظاهر قوله : لا تقوم الساعة(حتى) قصر قيام الساعة على زمان الحدث، فإن إيثار (حتى) دون غيرها فلم يقل مثلا : لا تقوم الساعة إلا أن .... ، قد أفاد احتمالية تأويل العبارة على جميع تلك المعاني .

فيصلح أن تحمل على القصر بالنفي والاستثناء لا تقوم الساعة إلا أن يحدث ويصلح أن تحمل على معنى كون الأحداث المذكورة بعد حتى كانت سببا في قيام السعة ، لما فيه من دلالة على الاضطراب والاختلال الموجب للنهاية. ويصلح أن تكون بمعنى الغاية للدلالة حينئذ على الإمهال مدة كافية للعمل بالخير أو بالشر.

ووصف " الفئتان" بكونهما عظيمتين يشعر بأنَّ الفئتين المتقاتلتين هما من القوة والشدة والعظمة بمكان.

ووصل بين قوله: "وتكون بينهما مقتلة عظيمة" والجملة السابقة " تقتتل فئتان عظيمتان" لما بينهما من التوسط بين الكمالين حيث اتفقت الجملتان في الخبرية لفظًا ومعنى، فالوصل بين الجمل له فائدة، ويؤكد ابن جني على " أنَّ الكلام إنَّما وضع للفائدة، والفائدة لا تجنى من الكلمة الواحدة، وإنَّما تجنى من الجمل ومدارج القول، فلذلك حال الوصل عندهم أشرف وأقوم وأعدل من حال الوقف."(٢)

ووصف " المقتلة" بكونها " عظيمة" يشعر بعظم عواقبها، وما آلت إليه من إزهاق النفوس التي راح ضحيتها الكثير والكثير وكلهم ينتمون إلى عقيدة واحدة، فكل منهما ينتمي إلى الإسلام، وكلاهما تدعي أنَّها صاحبة حق وأنَّ خصمها على الباطل.

---

(١) مغني اللبيب لابن هشام ، ص ١٦٩ قال ابن هشام: ولحتى الدَّاخِلَة على الْمُضَارع الْمَنْصُوب ثَلَاثَة معَان مرادفة إِلَى نَحْو {حَتَّى يرجع إِلَيْنَا مُوسَى} ومرادفة كي التعليلية نَحْو {وَلَا يزالون يقاتلونكم حَتَّى يردوكم} ... ومرادفة إِلَّا فِي الِاسْتِثْنَاء.

(٢) الخصائص لابن جني، جـ ٢ ص ٣٣٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٤ ،د.ت.

وفي إضافة "الدعوى" إلى:" ضمير الغائب" الدال على التثنية ما يشير إلى أنَّ الفرقتين تدعوان إلى رسالة واحدة وهي الدعوى إلى الإسلام وتنكير قوله: "واحدة" يدل على عظم هذه الدعوة، فهي دعوى عظيمة تدعو إلى عبادة الله وحده، وتدعو إلى الإيمان به وبرسوله -صلى الله عليه وسلم.

وتنكيرها أيضا يدل على أنه ما كان ينبغي لهما الاختلاف والافتراق والاقتتال لوجود ما يجمعهما وهو الدعوة الواحدة.

الحديث الثالث

ومن هذا النمط ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم : **"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرِ(١) الْفُرَاتُ(٢) عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ، تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو"** (٣)

افتتح الحديث بأسلوب النفي الذي يؤكد أنَّ قيام الساعة لن يكون حتى يحسر الفرات عن جبل من الذهب، والمراد من حسره أنَّه يذهب ماؤه فيظهر في محله جبل من ذهب.

والتعبير بالفعل المضارع " يحسر" يشعر باستحضار الصورة وهي انحسار ماء النهر وذهابه، وفي إسناد الفعل " يحسر" إلى "الفرات" مجاز عقلي علاقته المكانية من إسناد الفعل إلى مكانه، فالفرات لا ينحسر وإنما ينحسر ماؤه، فقد أسند إليه الانحسار على سبيل المجاز العقلي وإنما الذي ينحسر هو الماء وليس النهر، وتكمن بلاغة هذا المجاز في أن المياه لشدة انحسارها ترى وكأنَّ مكانها وهو النهر هو الذي ينحسر.

و "أل " في "الفرات" للعهد أي النهر المعهود المعروف الذي نعرفه، ويحتمل أن يكون الذي ظهر جبل حقيقة فيه كنز من ذهب، وقد يكون كناية عن كنز عظيم كأنَّه في مقدار جبل من ذهب.

---

(٢) فَرُتَ الماءُ يَفْرُتُ فُروتةً إذا عذب الفرات: اسْمُ نَهَرِ الْكُوفَةِ، مَعْرُوفٌ، لسان العرب ج٢ ص ٦٦ مادة فرت.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، رقم ٢٨٩٤.

وفي تنكير " جبل " و " ذهب" ما يشعر بِعِظَم هذا الجبل، والتعبير بـ "الجبل" يشعر بالعلو والارتفاع ويدل كذلك على الكثرة، وأنَّ هذا الجبل ما كان إلَّا من ذهب مما يدل على قيمته الثمينة وعاون على فهم المعنى "من" البيانية في قوله:" من ذهب"

وفصل بين جملة "يقتتل الناس عليه" وبين ما قبلها؛ لأنَّ الجملة الأولى أثارت سؤالًا وهو وماذا يكون من الناس حينما يرون هذا الجبل؟ فكان قوله:" يقتتل الناس عليه"" إجابة لهذا السؤال المقدر، وذلك لشبه كمال الاتصال، وهذا أسلوب من الأساليب التي شاعت في حديثه صلى الله عليه وسلم في حديثه عن علامات الساعة .

وفي التعبير بصيغة الافتعال في قوله:" يقتتل الناس" ما يدل على شدة القتال وأنَّه سيقع قتال عنيف بين الناس ويقتل بعضهم بعضًا، مما يدل على حب هؤلاء المتقاتلين للدنيا وتكالبهم عليها، فهؤلاء لا يتقاتلون لأجل الدين وإنَّما يتقاتلون لأجل عرض من الدنيا زائل، فهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنَّ ما يقدمون عليه خطر عظيم، وأنَّهم سيقتتلون من أجله ويلقون بأنفسهم إلى التهلكة.

ثم عطف بـ " الفاء" في قوله: " فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون" التي تفيد التعقيب، حيث لا توجد مهلة بين قتالهم وسقوط القتلى نتيجة ذلك الاقتتال الشديد العنيف المدلول على عنفه بصيغة الافتعال.

، وهذا يكون قرب قيام الساعة فيأخذون الذهب ولا ينتفعون به.

وليستحضر صورة ما عليه الناس قرب قيام الساعة عبَّر بالأفعال المضارعة " يحسر، يقتتل، فيقتل، يقول، أكون، أنجو" مما يشعر بأنَّ هذه الصورة ماثلة أمام العيان، والتعبير بالأفعال المضارعة من سمات حديثه صلى الله عليه وسلم عن علامات الساعة لدلالتها على المستقبل من وجه ولتصويرها للحدث من وجه آخر.

وجملة الترجي في قوله:" لعلي أكون أنا الذي أنجو" فيتمنى كل واحد منهم أن يكون هو الناجي، فيقتتل الباقي في الحال؛ رجاء أن ينجو في المآل، فيأخذ المال، وهذا من سوء الآمال، وتضييع الأعمال.

فمقتضى الظاهر "ينجو" بصيغة الغائب، وهذا من قبيل: " أنا الذي سمتني أمي حيدرة "، فنظر إلى المبتدأ وحمل الخبر عليه، ولم ينظر إلى الموصول الذي هو غائب، والمعنى يقاتل كل رجل راجيًا أن يكون هو الناجي من القتل.(١)

والأصل أن يقول:" أنا الذي أفوز به" فعدل إلى قوله:" أنجو" لأنَّه إذا نجا من القتل تفرد بالمال وملكه.(٢)

والتعبير بضمير التكلم " أنا" لأنَّ المقام مقام تكلم فيعتد بنفسه، واسم الموصول " الذي" يشير إلى التشويق إلى الخبر حتى يتمكن في ذهن السامع فضل تمكن، وفيه جذب لانتباه المخاطب إذ يجعل المخاطب في تساؤل لتحديد المقصود، والتعبير بالمسند إليه ضميرا " أنا" ووليه خبر فعلي " أنجو" لإفادة التخصيص وتقوي الحكم، حيث أتى بالمسند إليه ضميرًا بارزًا وقد اشتمل الفعل على ضمير مستتر والفعل مثبت ولم يشتمل الكلام على النفي، فأفاد الاختصاص وتقوي الحكم، فقد قصر النجاة عليه وحده لا غيره قصر موصوف على صفة قصرًا إضافيًا، وهذا القصر يدل على المبالغة والإيجاز.

الحديث الرابع

ومن الأحاديث الشريفة التي تعتمد الافتتاح بالنفي نمطاً لبنائها، قوله صلى الله عليه وسلم: **"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَات(٣) نِسَاءِ دَوْسٍ، حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ» وَكَانَتْ صَنَمًا تَعْبُدُهَا دَوْسٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِتَبَالَةَ.(٤)**

---

(١) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج٢٦ ص١١٥. ٣٤٠٥

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني، ج١٠ ص ٢٠٤، رقم ٣٤٠٥، المطبعة الأميرية، مصر، ط ٧،، ١٣٢٣هـ.

(٣) هُوَ بيتٌ كَانَ فِيهِ صَنَمٌ لدَوْسٍ وخَثْعَم وبَجِيلةَ وغيرِهم، وَقِيلَ: ذُو الخَلَصة الكعبةُ اليمانيَّةُ الَّتِي كَانَتْ بِالْيَمَنِ فأَنْفَذَ إِليها رَسُولُ اللَّهِ، صلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَرِيرَ بنَ عَبْدِ اللَّهِ يُخَرِّبُها، وَقِيلَ: ذُو الخَلَصة الصَّنَمُ نَفْسِهِ، لسان العرب ج٧ ص ٢٦

(٤) صحيح مسلم ج٤ ص ٢٢٣٠، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة رقم ٢٩٠٦.

في الحديث إخبار بأنَّ نساء دوس يركبن الدواب من البلدان المختلفة إلى الصنم المذكور حتى تضطرب الأعجاز من الطواف حول ذي الخلصة أي يكفرن ويرجعن إلى عبادة الأصنام(١)

وفي قوله: " حتى تضطرب أليات نساء دوس " كناية عن تزاحم هؤلاء النسوة وطوافهن حول ذلك الصنم، وعودة الشرك مرة أخرى.

وجمع " أليات" تشعر بكثرة هؤلاء النساء اللاتي يطفن حول هذا الصنم،

وفي تخصيص " النساء " دون " الرجال" في البيان النبوي للتغليب لأنَّ النساء أكثر انخداعًا بالخرافات والأشياء والدعاوي الكاذبة أكثر من الرجال وإلَّا فالرجال كانوا يعظمون الأصنام وفي ذلك إشارة إلى كثرة النساء في آخر الزمان .

الحديث الخامس

والأحاديث التي افتتحت بنفي قيام الساعة وبتعليق حدوثها على حدث ما كثيرة في مقام بيان أشراط الساعة، ولعل ذلك للإشارة إلى تحقق وقوع هذه الأحداث وأنها تمثل جميعا دلالات قاطعة على قرب قيام الساعة ومنها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى**»(٢)

في هذا الهدي النبوي يوضح لنا المصطفي -صلى الله عليه وسلم-أنَّ من علامات الساعة نار تخرج من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصري،

وفي تنكير قوله:" نار" ما يشعر بعظم هذه النار وقوتها، فهي نار شديدة قوية لها ضوء شديد، ولها بريق يراها من بعد عن المكان لمسافات طويلة.

وفي وصف النار بقوله: تضيء أعناق الإبل ببصرى دلالة مؤكدة على عظم هذه النار وانتشارها.

---

(١) فتح الباري ج١٣ ص٧٦

(٢) صحيح مسلم ج٤ ص ٢٢٢٧، رقم ٢٩٠٢.

قال الحافظ بن حجر -رحمه الله-، والذي ظهر لي أن النار المذكورة في الحديث هي التي ظهرت في نواحي المدينة، وأمَّا النار التي تحشر الناس فنار أخرى.(١)

ثم بيَّن -صلى الله عليه وسلم -المكان الذي تخرج منه عن طريق التعبير بـ "من" البيانية في قوله:" من أرض الحجاز" وفي إضافة " أرض" إلى "الحجاز" ما يشعر بالاختصاص والاختصار والإيجاز، وأنَّها الأرض التي ستخرج منها النار العظيمة.

وفي إيثار الأفعال المضارعة " تقوم، تخرج، تضيء" ليشعر باستحضار تلك الصورة المفزعة المرعبة.

وقوله:" تضيء..." كناية عن قوة النار وسعة انتشارها، فالنار تعلو ويشتد ضوءها حتى يصل هذا الضوء بصري (الشام)، ويظهر ذلك في أعناق الإبل في سواد الليل، وفي ذلك ما فيه من التعظيم لشأنها والتفخيم لمكانها والتحذير من فورانها وغليانها.

وخص " بصري (الشام) " بالذكر لبعد المسافة بين بلاد الحجاز وبلاد الشام فبصرى بضم الباء: مدينة حوران من الشام، فهذه النار "خرجت من الحجاز بقرب المدينة، فسطعت واشتعلت حتى أحرقت أكثر بنيان المدينة ولبثت نحوا من خمسين يومًا تتقد وترمي بالأحجار المحماة المحمرة كالجمر من بطن الأرض، وقد بقيت آثارها في تلك الصحاري(٢).

الحديث السادس

وتأكيداً لهذا النمط الشائع في البيان النبوي عن علامات الساعة نمط الافتتاح بنفي قيامها إلا بعد وقوع حدث ما نتأمل ما ورد

---

(١) فتح الباري ج١٣ ص ٧٩.

(٢) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي (، تح لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، ج٣ ص ٣٥وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ،٢٠١٢م.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ**(١)، **فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ** (٢)**الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَد**(٣) **، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**"(٤)

يخبرنا المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في هذا الهدي النبوي بأنَّ المسلمين يحاربون اليهود في آخر الزمان، وسيكون للمسلمين الغلبة والنصر، فيهزم اليهود ويكون لهم الخيبة والحسرة، ويختبؤون وراء الحجر والشجر، فإذا بالحجر ينطق ويخبر بما يختفي خلفه من اليهود، فينادي الحجر والشجر المسلم ويقول له هذا يهودي خلفي فاقتله، إلا شجر الغرقد فلا ينطق فلا يخبر عن اليهود لأنَّه من غرسهم. وفيه: إشارة إلى بقاء شريعة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-فإن عيسى -عليه السلام-يكون على شريعة نبينا -صلى الله عليه وسلم. وفيه: معجزة للنبي -صلى الله عليه وسلم-حيث أخبر بما سيقع عند نزول عيسى-عليه السلام-من تكلم الجماد والإخبار والأمر بقتل اليهود وإظهاره إياهم في مواضع اختفائهم. قوله: (فيقول يا عبد الله) أي: يقول الحجر: يا عبد الله، بأن ينطقه الله بذلك، وهو على كل شيء قدير، وقيل: يحتمل أن يكون مجازًا، لأنَّه لا يبقى منهم أحد في ذلك الوقت، والأول أولى."(٥)

وأول ما يطالعنا في هذا الهدي تقريره عليه الصلاة والسلام قرب قيام الساعة بالأسلوب الخبري في قوله :" لا تقوم الساعة " والمقصود بالساعة يوم القيامة، ثم يعبر عليه السلام - بالفعل المضارع المسبوق بـ "حتى" الغائية التي تشعر بطول الوقت والزمن والفعل المضارع الدال على المشاركة وأنَّ فعل القتال

(١) والهُودُ: اليَهُود، هادُوا يَهُودُون هَوْداً. وَسُمِّيَتِ الْيَهُودُ اشْتِقَاقًا مِنْ هادُوا أَي تَابُوا، وأَرادوا باليَهُودِ اليَهُودِيِّينَ وَلَكِنَّهُمْ حَذَفُوا يَاءَ الإِضافة لسان العرب ج٣ ص ٤٣٩

(٢) يُقَالُ خَبَأْتُ الشيء أَخْبَؤُهُ خَبْأً إذا أَخْفَيْتَه والْخَبْءُ والْخَبِيُّ، والْخَبِيئَةُ: الشَّيْءُ الْمَخْبُوءُ النهاية في غريب الحديث والأثر ج٢ ص٣

(٣) الغَرْقَدُ: شَجَرٌ عِظَامٌ وَهُوَ مِنَ الْعِضَاهِ، وَاحِدَتُهُ غَرْقَدَةٌ وَبِهَا سُمِّيَ الرَّجُلُ. قَالَ أَبو حَنِيفَةَ: إِذا عَظُمَتِ العَوْسَجَةُ فَهِيَ الْغَرْقَدَةُ. وَقَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: الغَرْقَدُ مِنْ نَبَاتِ القُفِّ. والغَرْقَدُ: كِبَارُ الْعَوْسَجِ، وَبِهِ سُمِّيَ بَقِيعُ الغَرْقَدِ لأَنه كَانَ فِيهِ غَرْقَدٌ، لسان العرب ج٣ ص ٣٢٥

(٤) صحيح مسلم ج٤ ص ٢٢٣٩ الرقم ٢٩٢٢

(٥) عمدة القاري للعيني ج١٤ ص ١٩٩. ٣٤٠٥

يكون بين طائفتين والذي يشعر بأنَّ كل طرف من الطرفين يحاول قتل الطرف الآخر ومحاربته ومواجهة كل من الطرفين الآخر ومقاومته فكل طائفة تريد الانقضاض على الأخرى ، أما لو عبَّر -عليه السلام_ بـ "يقتل" فيكون القتل من طرف واحد، ولا يكون هناك من المحاربة بينهما.

وللتعبير عن الفئة التي تقاتل اليهود بدأ بها بقوله:" المسلمون" للاهتمام بهم ولكون النصر والغلبة ستكون لهم في آخر الزمان، وهذا من معجزات سيد المرسلين وقد ورد شأنهم في القرآن الكريم في عدة آيات من سورة الإسراء **"وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا"** (الإسراء آية ١٠٥) وتعريف المسلمين بـ " أل" للإشارة إلى أنَّهم هم المسلمون المعهودون الذين سيقاتلون قرب قيام الساعة فقد وصفهم الحق -سبحانه-بأنَّهم أولي بأس شديد.

وجمع " المسلمون" يشعر بكثرتهم وعظمتهم، فهم من أسلموا القلب والنية فهم يقاتلون من أجل الله لا لأجل أن يقال عنهم أنَّهم من الشجاعة وقوة الشكيمة بمكان، فقد خلت قلوبهم من النفاق والرياء والسمعة، فصفت لأجل الواحد الأحد.

ثم يأتي المفعول به وهم الفئة الضالة المعبَّر عنها بـ اليهود"، وهم من يقاتل المسلمون في ذلك الوقت وهؤلاء هم الطائفة المهزومة الذين عاثوا في الأرض فسادًا لعنهم الله، ومن شايعهم وعاونهم، وسموا بذلك، لأنَّهم تابوا عن عبادة العجل، وفي القرآن " **إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ**" (الأعراف آية ١٦٠) وفي التوبة هوادة حال وسلامة(١)

وليشعر بقوة المسلمين الذين يقاتلون في ذلك الوقت عبَّر بالفعل المضارع الذي اقترن بـ "الفاء" في قوله: "فيقتلهم" التي تدل على أنَّ النصر والغلبة يأتيان بدون مهلة ولا وقت فسيح لهم، فبعد المقاتلة مباشرة يكون الفوز والغلبة للمسلمين، وعاون على فهم المعنى الفعل المضارع " يقتل" الذي يدل على استحضار الصورة وكأنها ماثلة أمام الأعين، ولنا أن نتخيل عظمة المسلمين وقوة شوكتهم وضعف وخور اليهود فمذ يلقاهم المسلمون من أول وهلة فإن النصر حليفهم.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس، ج٦ ص، ١٨.

وأخر الفاعل "المسلمون" وقدم ضمير الغائب العائد على اليهود ليعلم أن القتل واقع بهم لا محالة.
وفي ذكر فاعل "فيقتلهم" وتأخيره وهو " المسلمون" الذين قتلوا اليهود لتعظيم شأنهم وكثرتهم وشدة بأسهم.
وليشعر برعبهم وخوفهم ورهبتهم لما بلغ بهم من الضعف والهوان حينما رأوا شكيمة المسلمين وشدة بأسهم وليستحضر صورة اليهودي وهو يختفي ويستتر وراء الحجر والشجر من خوفه وذعره، وفي إسناد فعل "الاختباء" إلى فاعل الفعل وهو "اليهودي" ليتعين الفاعل الحقيقي وهو أنَّهم من يختبئوا دون غيرهم.
وذكر الحجر والشجر ليشمل جميع الأماكن الممكنة للاختباء. وفي تكرارهما دلالة على أن الأرض على اختلاف بقاعها قد نبذت هذه الفئة.
وليشعر بسرعة الفعل وأنَّه لا يوجد مهلة بين اختباء اليهودي وراء الحجر ونطقه عبَّر بالفعل " فيقول" الحجر، وكأنَّي بالحجر والشجر يلفظانه ويبغضانه، ويكون منهما الإباء والمنعة لاستتار اليهودي الخبيث وراءه.
وتعريف الحجر والشجر بـ "أل" للاستغراق أي يستغرق كل أصناف الشجر والحجر في هذا المكان، فلن يخلو شجر ولا حجر في ذلك المكان إلَّا واختفى وراءه يهودي، وفيه تأكيد للعموم أيضاً.
والتعبير بالفعل المضارع " فيقول" ليستحضر الصورة ماثلة وهي نطق الشجر والحجر بمكان اليهود مما يدل على كراهة وحقد وبغض الشجر والحجر لهؤلاء اليهود الذين قتلوا وسفكوا دماء عباد الله، وكأنَّما أصاب الحجر والشجر ما أصاب المسلمين سابقًا من الأذى والضرر.
وفصل بين جملة "يا مسلم يا عبد الله" وبين جملة القول لما بينهما من شبه كمال الاتصال، حيث تضمنت الجملة الأولى سؤالًا فكان التقدير: فماذا قال الحجر والشجر؟ فكانت الإجابة يا مسلم يا عبد الله، وبلاغة هذا اللون تأتي من الإثارة والتشويق.
ثم يأتي نداء الحجر والشجر للمسلم بأسلوب النداء واستعمال" يا" في " يا مسلم يا عبد الله" وهذا النداء على سبيل الحقيقة، وهذا يدل على قدرة الحق -سبحانه- العجيبة من إنطاق الحجر والشجر وبغضهم الشديد أن يمسهما اليهودي البغيض الذي أزهق أرواحا بريئة لا ذنب لها سوى الدفاع عن أرضهم وعقيدتهم، ويحتمل أن يكون المعنى مقصودًا به الكناية عن هزيمة اليهودي وانكشافه حتى

لا يترك منهم فرد بدون قتل، فإذا ما توارى منهم أحد فضحه الحجر والشجر وكشف عنه.

وندؤه بـ " يا" التي للبعيد وهو قريب منه تعظيمًا لشأنه وتنزيلًا لبعد المنزلة ورفعتها منزلة البعد المكاني، ثم يناديه بصفته المحبوبة إليه ولم يسمه باسمه لمحبته لتلك الصفة وكأنَّي بالحجر والشجر يعرفانه ويميزانه عن ذلك اليهودي ثم يعود ويكرر النداء ثانية بلقبه المحبب إلى نفسه وهي عبودية الحق –سبحانه- والخضوع والخنوع له بـ " يا عبد الله " ففي إضافة "العبد" لـلفظ الجلالة " الله" ما يشعر بتعظيمه وتشريفه فأي تعظيم وتشريف هذا.

وجمع بين الصفتين " مسلم وعبد الله" لما فيهما من زيادة التعظيم والتشريف، فقد وصفه بأحب وأسمى الصفات لديه.

وفي التعبير باسم الإشارة المشار إليه بالقريب "هذا يهودي خلفي" للتحقير من شأن اليهودي وازدرائه والضعة من شأنه، فقد لفظه الحجر والشجر لقبح صنعه، ثم يعقب بـ "الفاء" التي تفيد التعقيب أنَّه لم يترك له الفسحة والوقت والمهلة أن يتوارى خلفه عبَّر بـ "الفاء" مصحوبًا بها فعل الأمر " تعال" وكأنَّه ينوه له بالمكان وسرعة قتله وعدم افلاته حتى تستريح البلاد والعباد منهم.

وانتقل من الأسلوب التقريري المتمثل في التعبير بالجمل الخبرية السابقة إلى أسلوب الإنشاء المتمثل في فعل الأمر" تعال، اقتله" لما فيه من التفات الذهن وإصغائه إلى ما سيأتي بعده.

وقد عبر بفعلي الأمر " فتعال" و" فاقتله" مقترنين بـ "الفا" لما يشير بنبذ الحجر والشجر إياه، وكأنَّه يقول له أقبل على وجه السرعة "تعال فاقتله" حتى لا يتفلت، وكذلك حتى يتخلص المسلمون منهم فلم تبق لهم باقية، ولم ترفع لهم راية وستبقى راية الإسلام عالية خفاقة شامخة والأمر في الفعلين مقصود بهما الحقيقة.

ويستثنى من الشجر شجرة واحدة وهي شجرة الغرقد ذات الأشواك لأنَّها من شجر اليهود، أي يناديه جميع أصناف الشجر إلا شجرة الغرقد لأنَّها من غرسهم، فقد قصر المناداة بالقتل لليهود على جميع الأشجار التي يتوارون خلفها إلَّا شجر الغرقد، وكأنَّه يتعاطف معهم ولمعرفة اليهود بهذا الأمر أكثروا من زراعته.

ثم يعلل بعدم نطق شجرة الغرقد وعدم الإخبار بما خلفها فهي من غرسهم وشجرهم، مستخدمًا الأسلوب الخبري المؤكد بـ "إنَّ واسمية الجملة" الذي يفيد

تأكيد الحكم الذي تضمنته الجملة، وهو أنَّ شجر الغرقد من شجر اليهود، وفي إضافة "الشجر" إلى "اليهود" ما يشير إلى تحقير هذا الشجر الذي يختص بهم، وجمع " الشجر" يشير إلى كثرته وغلبته فهو المشهور لديهم.

ولعل هذا الشجر قد تعاطف مع اليهود لما بينهما من الشبه فاليهود متمرسون في الإيذاء، وكذلك هذا الشجر الممتلئ بالأشواك.

الحديث السابع

وهذا شاهد آخر من قوله صلى الله عليه وسلم يعتمد نمط النفي ثم التعليق على حدث معين نمطاً تركيبياً ينبني عليه بيانه عن علامات الساعة وهو ما ورد عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**»(١)

يوضح لنا النبي-صلى الله عليه وسلم-في هذا الحديث النبوي بأنَّه لا تقوم الساعة حتى يخرج دجَّالون كذَّابون فهم يموهون ويخلطون الأمور بالكذب على الناس، ويدعون النبوة، يقترب عددهم من ثلاثين.

وعبَّر بالفعل "يبعث " دون "يرسل" لأَّنه يجوز أن يبعث الرجل إلى الآخر الحاجة يخصه دونك ودون المبعوث إليه كالصبي تبعثه إلى المكتب فتقول بعثته ولا تقول أرسلته لانَّ الإرسال لا يكون إلَّا برسالة وما يجري مجراها(٢).

وآثر البيان النبوي التعبير بالفعل المضارع " يبعث" ليستحضر صورة هؤلاء الكذابين الذين ادعوا النبوة بدء بمسيلمة الكذاب وانتهاء في هذا العصر بميرزا غلام أحمد القادياني، ثم ظهور المسيخ الدجال قبل قيام الساعة، لتجنب تلك الفتن، ونأخذ الحذر منها، حتى لا نفتن في ديننا ودنيانا.

فقوله:"(دجَّالون) أيضًا من الدجل "وهو التغطية والتمويه؛ لأنَّه غطى الحق بالباطل وموّه الباطل بزينة الحق، والدجَّال صيغة مبالغة منه، وهو من يكثر الدجل ويطلق على الكذب أيضًا فالدجَّالون بهذا المعنى كثير غير أنَّ الدجال الذي يقتله عيسى -عليه السلام -أكبرهم والمراد من الدجَّالين هنا الذين يدعون لأنفسهم النبوة كذبًا وزورًا وقد خرج منهم خلق كثير لا يحصون ولكن غالبهم

(١) صحيح مسلم ج٤ ص ٢٢٣٩
(٢) الفروق اللغوية ص ١٠٣

ينشأ لهم ذلك، وإنَّما المراد من الحديث من قامت له شوكة وبدت له شبهة وكانوا قريبًا من هذا العدد المذكور في الحديث.(١)

وجمع " دجَّالون" يشعر بالكثرة والتحقير من شأن هؤلاء الذين يموهون الناس ويسول لهم الشيطان أنَّهم صالحون نافعون، ولكنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنَّهم يذهبون بعقول الناس ويسرحون بهم، وعاون على فهم هذا المعنى التعبير بصيغة المبالغة "فعال" التي تشعر بمدى كذبهم، وفسادهم وإفسادهم للبلاد والعباد.

وجاء الوصف -بأنَّهم " كذَّابون" بصيغة المبالغة وكأنَّي به -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يريد من خلال هذا الوصف الإرشاد إلى عدم اتباعهم لأنَّهم يفتنون الناس عن دينهم، فلنحذر هؤلاء المخادعين الكذابين الذين يبعدون الناس عما هم عليه من الصلاح، ويودون بهم إلى الهلكة والدمار.

"والفرق بينهم وبين الدجَّال الأكبر أنَّهم يدَّعون النبوة وهو يدعي الألوهية، ولكنَّهم كلهم مشتركون في التمويه وادعاء الباطل الكبير، وقد وجد كثير منهم ففضحهم الله تعالى وأهلكهم"(٢)

وحذف المسند إليه في قوله:" قريب" لضيق المقام فما دام الحديث عنهم فلا داعي إلى ذكرهم مرة ثانية للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، والتقدير: عددهم قريب.

ويلاحظ في الحديث الشريف أنَّ كل ألفاظه جاءت بالأسلوب الخبري الذي يقرر ويؤكد قرب قيام الساعة، وأنَّ هذه العلامة من علامات الساعة قد ظهرت كما بلغنا الحبيب المصطفى، فقد ادَّعى النبوة عددٌ ليس بالقليل والتعبير بالعدد ثلاثين للتقريب وليس للتحديد.

ثم يؤتى بأسلوب التوكيد بصيغة العموم في قوله:" كلهم " للإشارة إلى أنَّ هؤلاء جميعًا يدعون النبوة، وفي التعبير بالفعل يزعم ما يشعر بكذبهم وافترائهم وزعمهم المكذوب الذي لا صحة له في الواقع.

---

(١) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ج٢٦ ص ٢٠١

(٢) صحيح البخاري ج٩ ص ٥٩

الخاتمة:

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فقد كان هذا بحث تحت عنوان (من بلاغة التعبير النبوي عن علامات الساعة) انتهيت من دراسته إلى عدة نتائج أورد أهمها فيما يأتي :

أولا – اتسمت الألفاظ في الحديث عن علامات الساعة بالوضوح والدقة والتناسق فلا نجد لفظًا نابيًا ولا لفظًا وحشيًا غريبًا، ومن دقته اصطفاؤه للفظ "تقوم" دون تقع أو تحدث ، واصطفاؤه (حتى) دون غيرها ليثري المعنى ، واصطفاؤه لـ (إذا) أداة للشرط دون غيرها ، لدلالتها على القطع على النحو الذي مر بيانه في موضعه من البحث.

ثانياً - تضافر الأساليب الخبرية والإنشائية فعلى الرغم من غلبة نمط بعينه على حديث من الأحاديث التي ذكرت علامات الساعة ، فإن ذلك لا يعني غيبة بقية الأنماط وقد أثبت البحث وجود ثلاثة أنماط يغلب أحدها ويؤازره غيره: البناء على الإنشاء والبناء على الخبر المثبت ، والبناء على الخبر المنفي على النحو الذي مر مفصلا، وقد شاع من أساليب الإنشاء القسم ، والاستفهام ، ومن الجمل الخبرية ما كان فعلياً مثبتاً أو منفياً.

ثالثاً-شيوع التعبير بالأفعال الماضية دلالة على تحقق الوقوع ، وبالأفعال المضارعة دلالة على استحضار الصورة مع التجدد ، ولكل مقامه الذي يستدعيه

رابعاً- الإلحاح التعبيري على صيغة بعينها وهي صيغة النفي ثم العطف بـ (حتى) في قوله: لا تقوم الساعة حتى ... ولا تذهب الدنيا حتى و قوله: إنها لن تقوم حتى ... وقد علل البحث لشيوع هذه الصيغة في حديثه صلى الله عليه وسلم عن علامات الساعة .

خامساً -كثرة أساليب التأكيد تبعاً لحاجة المعاني ومتطلبات المقام ، مثل أسلوب الحصر وتقديم ما حقه التأخير.

سادساً -كان لحرف العطف الفاء حضور قوي في الربط بين الأحداث ، حيث حكت سرعة الأحداث وتواليها.

سابعاً -كان الحوار هو الكاشف عن الأحداث والمصعد لها ، ولذلك كان الاتصال بين الجمل في أغلبه قائماً على اتصال ذاتي داخلي من خلال شبه كمال الاتصال.

ثامناً – غلبة التصوير الكنائي على غيره من وسائل التصوير، ولعل السر وراء ذلك ، الرغبة في إثبات قيام الساعة بأدلتها القاطعة.

والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، حمود التويجري ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، طـ١، ١٩٨٣ م.
٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للقسطلاني، المطبعة الأميرية، مصر، طـ ٧،، ١٣٢٣هـ.
٣. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ، دار الكتاب العربي بيروت ، ط ٥، ٢٠٠٥ م.
٤. إكمال الإكمال لأبي محمد بن يوسف السنوسي، مطبعة السعادة –مصر، ١٣٢٨ هـ.
٥. إكمال المعلم بفوائد مسلم القاضي عياض ، تحـ د. يحيى إسماعيل ، دار الوفاء مصر، طـ١، ١٩٩٨ م.
٦. الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، تحـ محمد عبد المنعم خفاجي، ، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان ، طـ ٦، ١٩٨٥ م.
٧. البحر المحيط الثجاج في شرح الإمام مسلم بن الحجاج لمحمد بن علي الإيتوبي الولوي، دار ابن الجوزي –طـ١، ١٤٣٦هـ.
٨. بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان.
٩. بلاغة القسم في الحديث النبوي الشريف، الدكتورة أميمة بدر الدين مجلة جامعة دمشق، مج ٢٦، ٢٠١٠.
١٠. البيان في ضوء أساليب القرآن أ. د عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي ١٩٧٧م ،
١١. لبيان والتبيين للجاحظ، مكتبة دار الهلال (بيروت: ١٤٢٣ هـ).
١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي ، دار الهداية ، د.ت.
١٣. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس ،١٩٨٤م.
١٤. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي ،تحـ لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت ،٢٠١٢م.

١٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، تحـ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية -- القاهرة، طـ ٢، ١٩٦٤م.
١٦. الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ، تحـ د. فخر الدين قباوة ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٩٩٢ م.
١٧. دائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين إشراف ومراجعة الدكتور هاشم محمد، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، طـ ١،٢٠٠٢م.
١٨. الخصائص لابن جني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،طـ ٤ ،د.ت.
١٩. دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني ، تحـ محمود شاكر ، مطبعة المدني بالقاهرة ، دار المدني بجدة ، طـ ٣، ١٩٩٢ م.
٢٠. روح البيان لإسماعيل حقي المولى أبو الفداء دار الفكر – بيروت، د.ت.
٢١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي، تحـ علي عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، طـ١، ١٤١٥هـ.
٢٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، تحـ أحمد العطار ، دار العلم للملايين بيروت طـ ٤ ، ١٩٨٧ م.
٢٣. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ، تحـ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت، ، د.ت.
٢٤. الصناعتين لأبي هلال العسكري ، تحـ علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، ١٤١٩ هـ.
٢٥. طرح التثريب في شرح التقريب زين الدين العراقي ، الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة منها: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.د.ت.
٢٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ،دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت ، ١٣٧٩ هـ.
٢٨. فتح المنعم شرح صحيح مسلم للأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، دار الشروق، طـ ١، ٢٠٠٢م،.
٢٩. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تحـ الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة، النشر الإسلامي طـ١،، ١٤١٢هـ.

٣٠. الفعل المبني للمجهول لعبد الفتاح محمد، مجلة جامعة دمشق، المجلد ٢٢ العدد ١ و٢ عام ٢٠٠٦.
٣١. القناعة في ما يحسن الإحاطة من أشراط الساعة، شمس الدين السخاوي ، تحـ محمد بن عبد الوهاب العقيل ، مكتبة أضواء السلف (الرياض السعودية : ٢٠٠٢ م) ط أولى .
٣٢. القيامة الصغرى: للأشقر العتيبي، دار النفائس للنشر والتوزيع، مكتبة الفلاح، الكويت. .
٣٣. الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، للكرماني دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ٢ ، ١٩٨١ م.
٣٤. الكوكب الوهاج والروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج لمحمد الأمين الهرري، دار المنهاج – دار طوق النجاة، طـ : الأولى ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.
٣٥. لسان العرب لابن منظور ، دار صادر بيروت ،د.ت، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ.
٣٦. مغني اللبيب لابن هشام ، تحـ د. مازن المبارك ، دار الفكر – دمشق، طـ ٦، ١٩٨٥..
٣٧. مفتاح العلوم للسكاكي ، تحـ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، طـ ٢، ١٩٨٧م.
٣٨. المفردات في غريب القرآن للأصفهاني،تحـ : د/ محمد أحمد خلف الله، مكتبة الأنجلو.
٣٩. المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم ، القرطبي، تحـ : محيي الدين ديب وآخرون، دار ابن كثير ، دمشق ، بيروت،ط١ ، ١٩٩٦ م.
٤٠. مقاييس اللغة لابن فارس ، تحـ: عبد السلام هارون ، دار الفكر ، ١٩٧٩م.
٤١. من أسرار التعبير في القرآن حروف القرآن، أ. د عبد الفتاح لاشين، دار عكاظ للنشر والتوزيع، طـ ١، ١٩٨٣م
٤٢. منة المنعم شرح صحيح مسلم للمباركافوري، دار السلام الرياض السعودية ، طـ١، ١٩٩٩ م.
٤٣. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج النووي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، طـ٢، ١٣٩٢م..
٤٤. النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين ابن الأثير، تحـ طاهر الزاوي ، ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية بيروت، ١٩٧٩ م.

References :

- alquran alkarim
- alaihtijaj bial'athar ealaa min 'ankar almahdi almuntazir, hamuwd altuwijri , alriyasat aleamat li'iidarat albuhuth aleilmiat wal'iifta' waldaewat wal'iirshadi, alriyad - almamlakat alearabiat alsaeudiati, ta1, 1983 mi.
- 'iirshad alsaari lisharh sahih albukharii lilqustalani, almatbaeat al'amiriati, masr, ta 7,, 1323h.
- 'iiejaz alquran walbalaghat alnabawiat lilraafieii , dar alkitaab alearabii bayrut , t 5, 2005 mi.
- 'iikmal al'iikmal li'abi muhamad bin yusuf alsinusi, matbaeat alsaeadat -masir, 1328 hi.
- 'iikmal almuealim bifawayid muslim alqadi eiad , tahi da. yahyaa 'iismaeil , dar alwafa' masri, ta1, 1998 mi.
- al'iidah fi eulum albalaghat lilkhatib alqazwini, taha muhamad eabd almuneim khafaji, , dar alkitaab allubnani, bayrut lubnan , ta 6, 1985 mi.
- albahr almuhit althajaj fi sharh al'iimam muslim bn alhajaaj limuhamad bin ealiin al'iitubi alwaliwi, dar abn aljawzii -ti1, 1436hi.
- badayie alfawayid liabn qiam aljawziati, dar alkitaab alearabii - bayrut - lubnan.
- balaghat alqism fi alhadith alnabawii alsharif, aldukturat 'umimat badr aldiyn majalat jamieat dimshqa, maj 26, 2010.
- albayan fi daw' 'asalib alquran 'a. d eabd alfataah lashin, dar alfikr alearabii 1977m ,
- albayan waltabyin liljahiza, maktabat dar alhilal (birut: 1423 hi).
- taj alearus min jawahir alqamusa, lilzubidii , dar alhidayat , da.t.

- altahrir waltanwir liltaahir bin eashur, aldaar altuwnusiat lilnashr - tunis ,1984m.
- tuhfat al'abrar sharh masabih alsunat lilbaydawii ,taha lajnat mukhtasat bi'iishraf nur aldiyn talib, al'awqaf walshuwuwn al'iislamiat bialkuayt ,2012m.
- aljamie li'ahkam alquran lilqurtubii , taha 'ahmad albarduni wa'iibrahim 'atfish, dar alkutub almisriat -- alqahiratu, ta 2, 1964m.
- aljinaa aldaaniu fi huruf almaeani lilmuradii , tahi du. fakhr aldiyn qabawat ,dar alkutub aleilmiat bayrut lubnan, ta1, 1992 mi.
- hadayiq alruwh walrayhan fi rawabi eulum alquran lilshaykh muhamad al'amin 'iishraf wamurajaeat alduktur hashim muhamadu, dar tawq alnajaati, bayrut - lubnan, ta 1,2002m.
- alkhasayis liabn jini, alhayyat almisriat aleamat lilkitab ,ta 4 ,da.t.
- dalayil al'iiejaz eabd alqahir aljirjanii , taha mahmud shakir , matbaeat almadanii bialqahirat , dar almadanii bijidat , ta 3, 1992 mi.
- ruh albayan li'iismaeil haqiy almawlaa 'abu alfida' dar alfikr - bayrut, da.t.
- ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani lilalwsi, tah eali eabdalbari eatiat, dar alkutub aleilmiat - bayrut, ta1, 1415h.
- alsihah taj allughat wasihah alearabiat liljawharii , taha 'ahmad aleataar , dar aleilm lilmalayin bayrut ta 4 , 1987 mi.
- sahih muslamin, muslim bin alhajaaj , taha muhamad fuaad eabd albaqi , dar 'iihya' alturath alearabii bayrut, , da.t.

- alsinaeatayn li'abi hilal aleaskarii , tah eali albijawi wamuhamad 'abu alfadl 'iibrahim, almaktabat aleasriat bayrut, 1419 hi.
- tarh altathrib fi sharh altaqrib zayn aldiyn aleiraqii , altabeat almisriat alqadimatu, wasuaratuha dawr eidat minha: dar 'iihya' alturath alearabii, wamuasasat altaarikh alearabii, wadar alfikr alearbi.di.t.
- eumdat alqariy sharh sahih albukharii libadr aldiyn aleaynii ,dar 'iihya' alturath alearabii - bayrut.
- fatah albari sharh sahih albukharii liabn hajar aleasqalanii, dar almaerifat bayrut , 1379 hi.
- fatah almuneim sharh sahih muslim lil'ustadh alduktur musaa shahin lashin, dar alshuruq, ta 1, 2002mi,.
- alfuruq allughawiat li'abi hilal aleaskarii, taha alshaykh bayt allah biati, muasasati, alnashr al'iislamii ta1,, 1412h.
- alfiel almabniu lilmajhul lieabd alfataah muhamad, majalat jamieat dimashqa, almujalad 22 aleadad 1 wa2 eam 2006.
- alqanaeat fi ma yuhsin al'iihatat min 'ashrat alsaaeati, shams aldiyn alsakhawii , taha muhamad bin eabd alwahaab aleaqil , maktabat 'adwa' alsalaf (alriyad alsueudiat : 2002 mu) t 'uwlaa
- alqiamat alsughraa: lil'ashqar aleutaybi, dar alnafayis lilnashr waltawziei, maktabat alfalahi, alkuayti. .
- alkawakib aldirariu fi sharh sahih albukharii , lilkarmanii dar 'iihya' alturath alearabii bayrut, t 2 , 1981 mi.
- alkawkab alwahaaj walrawd albahaju fi sharh sahih muslim bin alhajaaj limuhamad al'amin alhirri, dar alminhaj - dar tawq alnajati, ta : al'uwlaa 1430h 2009m.
- lisan alearab liabn manzur , dar sadir bayrut ,d.t, t 3 , 1414 hi.
- mughaniy allabib liabn hisham , tahi du. mazin almubarak , dar alfikr - dimashqa, tu 6, 1985..

- miftah aleulum lilsikakii , taha naeim zarzura, dar alkutub aleilmiati, bayrut -lubnan, ta 2, 1987m.
- almufradat fi gharib alquran lil'asfahani,tiha : du/ muhamad 'ahmad khalf allah, maktabat al'anjilu.
- almafham lama ashakil min talkhis kitab muslim , alqurtubi, taha : muhyi aldiyn dib wakhrun, dar abn kathir , dimashq , bayrut,ti1 , 1996 mi.
- maqayis allughat liabn faris , tah: eabd alsalam harun , dar alfikr , 1979 mi.
- min 'asrar altaebir fi alquran huruf alqurani, 'a. d eabd alfataah lashin, dar eukaz lilnashr waltawzie, ta 1, 1983m
- minat almuneim sharh sahih muslim lilmubarkafuri, dar alsalam alriyad alsueudiat , ta1, 1999 mi.
- alminhaj sharh sahih muslim bin alhajaaj alnawawii, dar 'iihya' alturath alearbi-birut, ta2, 1392ma..
- annihilate fi gharayb alhadith wal'athar , majd aldiyn abn al'athira, taha tahir alzaawi , wamahmud altanahiu , almaktabat aleilmiat bayrut, 1979 mi.